مذكرات رحالة



الألم والمقاومة في الصحراء الغربية

كارلوس مارتين بيريستاين
آلونصو خيل
فيديريكو غوثمان
ترجمة: مصطفى الكتّاب

مذكرات رحالة



الألم والمقاومة في الصحراء الغربية

كارلوس مارتين بيريستاين
آلونصو خيل
فيديريكو غوثمان
ترجمة: مصطفى الكتّاب

يناير 2014

مهدى للضحايا والناجين الذين أدلوا بشهاداتهم، وتقاسموا آلامهم، وخصوصياتهم وثقتهم. إنهم بحق ذلك الوجه الذي يرسم المعركة دفاعا عن الحياة والوعي بحقوق الإنسان في الصحراء الغربية.

تصميم الغلاف: إينياكي بالمو اعتمادا على إضاءات من فيديريكو غوثمان.
© النصوص: كارلوس مارتين بيربستاين
© إضاءات: إلونصو خيل وفيديريكو غوثمان
© تنفيذ الاخراج بالعربية: السالك محمد مولود
© حقوق الطبع

UPV/EHU.مطبعة النفد البناء
جادة الليهيندا كاري إغيري 81.
48015 بيلباو
Tel.: 94 601 70 91 :هاتف
www.hegoa.ehu.es
hegoa@ehu.es

UPV/EHU..مركز كارلوس سانتا ماريا
Elhuyar Plaza, 2
20018 دونوستيا . سان سيباستيان
UPV/EHU. مكتبة جامعة إلابا
138ص.ب
33شارع نييفيس كانو
01006 فيتوريا غاستيز

2013الطبعة الإولى نوفمبر
ماكيت: مارّه. ش.م.

مشروع ممول من قبل:
بلدية فيتوريا غاستيز

هذه الطبعة هي نتيجة اتفاق مع:
جمعية إصدقاء وصديقات الجمهووربة العربية الصحراوية الديمقراطية في منطقة إلابا

كما شارك في هذه الطبعة:
جمعية الصداقة مع الشعب الصحراوي في اشبيليا

Except where otherwise noted, this work is licensed under
http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/3.0/

هذه الوثيقة مرخصة بموجب المشاع الإبداعي: الاعتراف غير التجاري .دون مستند مشتق 0.3 الإسباني. يسمح بنسخها وتوزيعها بكل حرية والتواصل علنا بها شرط الاعتراف بجهة التاليف وإن لا تستخدم لإغراض تجارية. يمنع التغيير إو العديل . إو إنتاج مستند مشتق من هذا العمل.



القصص الأخيرة تعود لأول ثمانية صحراويين فقدوا، والذين تم إعدامهم في 1976، وقد تم العثور عليهم في يونيو 2013 في مقبرتين جماعيتين في آمكالا منطقة امهيريز. حدث تاريخي بالنسبة لذاكرة ولكفاح أسر المفقودين الصحراويين.

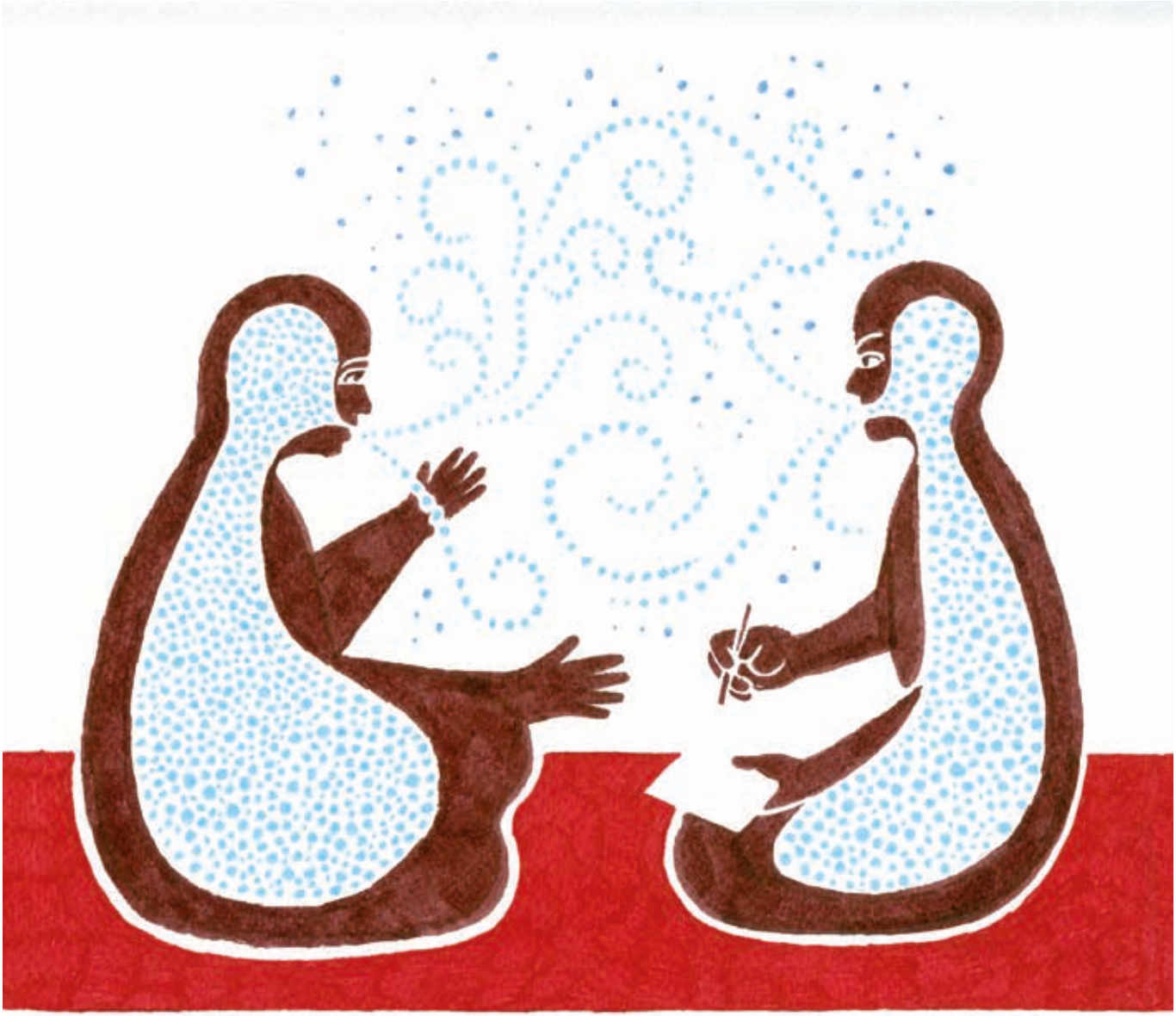
بعض الرسومات أنجزت بينما كانا نحصل على الشهادات. وفي الحديث مع الروايات ولدت الصور والتمثلات رفقة الأصوات وأفكار الناس.رفقة أفكارنا نحن. رفقة ما يحركنا.

مازال الضحايا الصحراويون ينتظرون عملية تحقيق حول الحقيقة، تحقيق يحترم حزنهم، ويعمل على جبر ضررهم وإنصافهم من جلاديهم. لأنه من غير الممكن إقامة أي سلام على قاعدة الإفلات من العقاب، وانتهاك حقوق الإنسان، والمحاكمات العسكرية والتعذيب المتواصل عبر ثلاثة أجيال. هناك كذلك الكثير من قصص الأحلام. الكتاب يختتم بحالم ينتظرالغد.

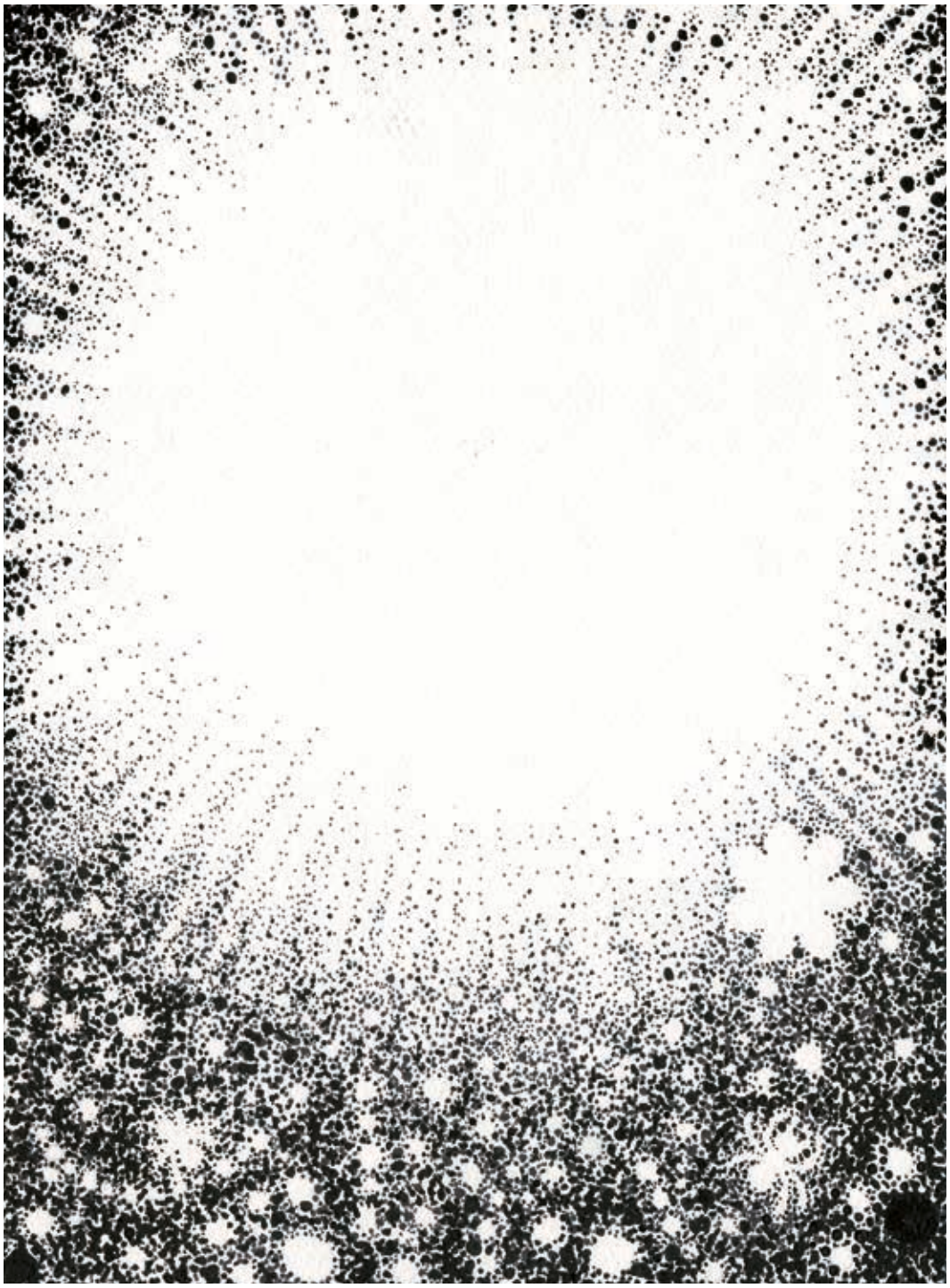
خرجت قصص ورسومات هذا الكتاب من رحم عملية بحث حول انتهاكات حقوق الإنسان في الصحراء الغربية. تشكل جزءا من الشهادات الواردة في كتاب «واحة الذاكرة». القصص تبدأ من وقت لم يكن فيه الشعب الصحراوي مقسم إلى ثلاثة أجزاء ـ كما هي حالته اليوم ـ في الصحراء الغربية المحتلة إلى الآن من قبل المغرب، مخيمات اللاجئين في تندوف، وشتات في العالم. تتحدث عن عملية البحث، عن الحصول على الشهادات، وعن قصص لا تصدق رواها الضحايا.

. منذ النزوح إلى الصحاري، إلى قصف المدنيين في عام 1976. إلى نهب الإبل والخيام، وحتى حالات المركزة القسرية للسكان.أجرينا مقابلات مع العديد من الضحايا الذين كانوا مختفين في مراكز سرية للاعتقال طيلة خمسة عشر عاما، دون أن يكون لذويهم أي معلومات عنهم. إنها قصص الألم والمقاومة في معسكرات الاعتقال، في خضم أبشع الظروف، ويحدثوننا عن قدرة الإنسان على مواجهة الفظائع. قرابة 350 منهم نجوا وبقوا على قيد الحياة، مات أكثر من 50 منهم في تلك المراكز بسبب التعذيب والجوع. 400 آخرون ما زالوا مفقودين حتى اليوم، في إطار جريمة متواصلة كما تتواصل آلام عائلاتهم.

بعض الضحايا كان ذنبهم هو محاولة تجاوز الجدار الممتد على طول 2700 كيلومتر والذي بناه المغرب في 1982 لمنع عودة المبعدين وحماية فريسته. هناك قصص تعذيب يرويها معظم الأشخاص الذين عانوا الاعتقال. قصص الانتفاضات التي منذ 2005 فضحت ما يجري في الصحراء الغربية بعد ثلاثين سنة من الصمت. قصص الاعتقالات التعسفية والإعدامات خارج نطاق القضاء. قصة مخيم اكديم إزيك في 2010 الذي أظهر قدرتهم على تقرير المصير. قصص نساء يعطين دروسا في الحكمة والشجاعة. قصص اللجوء والصبر المستنفذ والمتجدد في خضم كفاح يتواصل قرابة أربعين سنة من أجل حقهم في أرضهم وفي هويتهم وفي حياة كريمة.



ولد هذا الكتاب من لقاء مع أحاديث الألم والمقاومة الصحراوية، كنوز العمر المكتشفة، في شهادات الضحايا والناجين من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. قصص كانت تعيش داخل روايات أكبر وهي التي من أجلها عاد الناس إلى مسرح الجريمة أو مسرح المعجزة، وأمسكوا بأيدينا. هناك الكثير من الأشياء تقال فقط بالألوان والخطوط، ضمن أجواء تأخذك إلى هنا. الشهادات أبرزت رسوما. وبين الروايات والرسوم بدأ حوار خصب. وتلك الخصوبة أنتجت مشاهد. إنها دعوة للسير والسماح لهم بلمسك.



الطريق إلى الداخلة

للصحاري حياة لا تتخيل. خنفساء تتجول في الرمال على رؤوس أطرافها. حيوان يلدغ ويطير، ولونه أزرق شفاف. نمل. نبتات تولد من اللاشيء، باخضرار الكلوروفيل العنيف.

أحجار. كل أنواع الأحجار. هناك اثنتان حين تحكهما ببعضهما، تقدحان شرارة، وعندما تضع قليلا من القطن بينهما، تشتعل النار. هناك أحجار السهم، أخريات يصلحن للرسم علي أحجار أخرى. ومازالت توجد أخرى متشابهة تتحول إلى غبار. كانت النساء في القدم تصبغ ما حول أعينهن بها. يقلن إنه يمكن للمرء أن يرى أفضل حين يضعها.

في النهاية هناك أحجار يخبئن أسرارا من أزمنة أخرى. ترفع واحدة منها وتتراءى لك صدف بحر بدون شك كان هنا. أتصور الأمواج على تلك الرمال كلما عثرتُ على سمك في الصحاري.



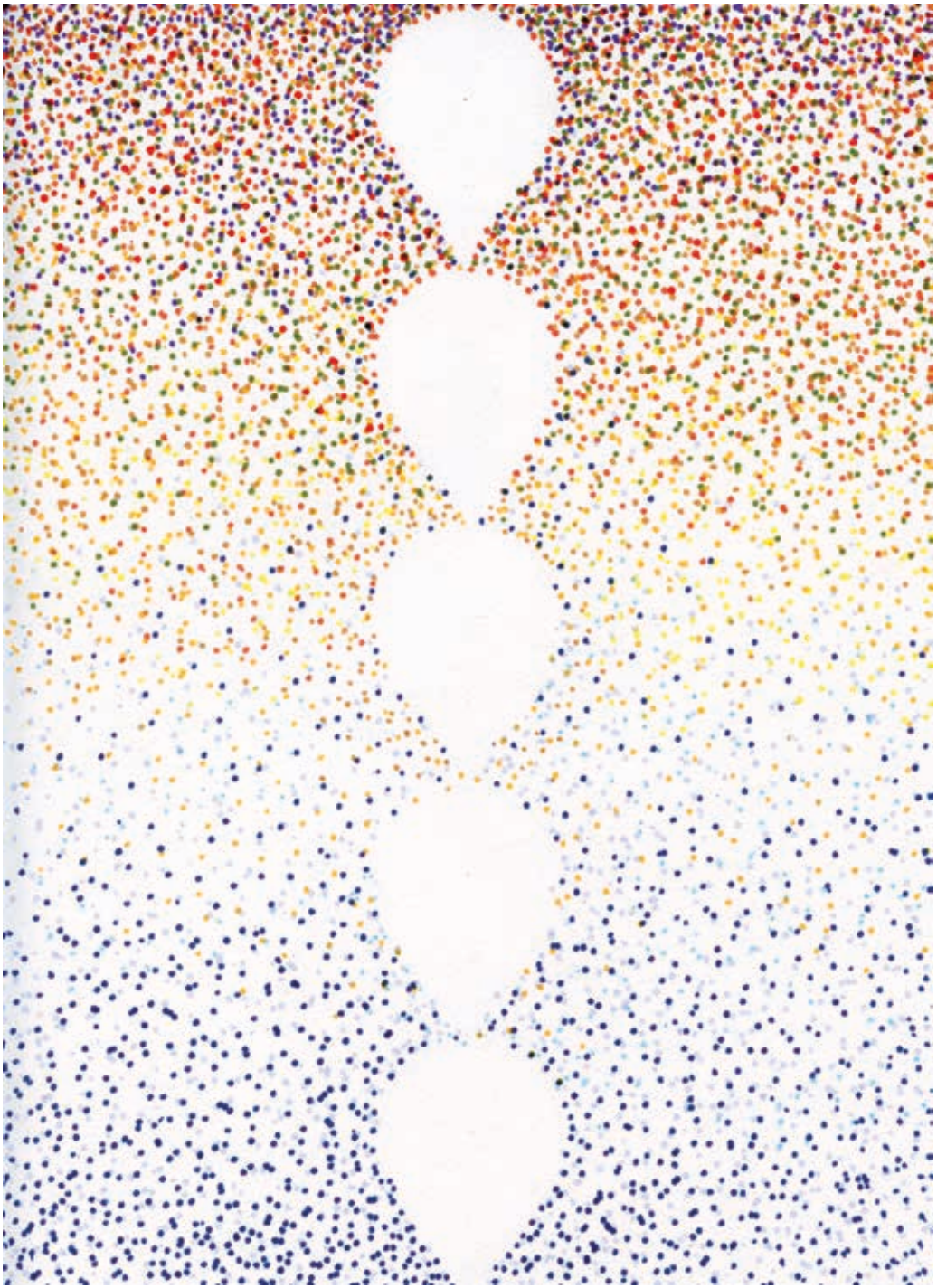
مع الرياح التي تحرك حبات الرمال، يجف الملح. وكلما زادت قوة هبوب الريح، يتكلس ملح أكثر على السطح، وبالتدريج تتكون قشرة بيضاء، خفيفة، في حين أن ما يوجد هناك إلى جانب ذاك النوع من صدفات الحبّار هو في الحقيقة أحجار ملح.

أخذنا واحدة لطحنها بين أصابعنا وذرها على قطعة لحم الجمل، لإعداد فطور مع الشاي وسط هذه الكثبان الرملية وتحت هذه الشمس التي تنمو وتكبر.

إذا حفرت تحت الرمال الجافة، كمن يريد بناء قصر على شاطئ البحر، تجد الرمال مبللة. تستطيع حفر حفرة عريضة وطويلة كما تشاء، أو أفضل من ذلك، مثلما تسمح لك قطعة البلاستيك الموجودة لديك. تحتها تضع إبريق شاي كما لو أنك تزرعه في "دفيئة" أو زراعة بلاستيكية. ماء الرمال الذي يتبخر بالحرارة، يلتصق بالبلاستيك على شكل حبيبات تبدأ بالتركز في الإبريق، الذي هو أبرد ويبدأ الماء يتجمع قليلا قليلا، وبذلك تكون لديك واحة في منتصف الصحراء حتى لا تموت.

بينما أتعلم استراتيجيات البقاء ومعارف القدامى أتجول بطرفي في هذه الرمال التي تعلمني هذه وتلك المعجزات الحياتية.

الصحراويون يضغطون على ألسنتهم للتعبير عن موافقتهم، أو للقول بأن الأمر جيد، أو للإشارة إلى مواصلة الحديث. بينما كنت أشرح لسكينة كيف سنقوم بأخذ شهادتها، عبد السلام يترجم لها وهي تنظر إلي وتقول كليك، كليك. بعد أسئلتي التي امتزجت مع تاريخها بدأنا في النمو معا، دارت الكلمات بين الثلاثة ذهابا وإياباً، كموسيقى ناعمة، بأصوات وإيقاعات وقصص. بذلك كان هناك وقت يبدأ. حتى أنا أصبحت جزءا من الدهشة عندما أستمع إلى نفسي، على الرغم من عدم التناغم.



هذه صورة لمقبرة صحراوية في الفلاة. المقبرة لاجئة مثل الناس الذين يعانقونها عن قرب، الذين يدفنون موتاهم في الرمال ويضعون فوقهم أحجارا، حسبما يكونون امرأة أو رجل. قبر المرأة يمهر بحجر من أجل أن ترتاح في هدوء، وحتى لا تتمكن أي روح شريرة من ولوجه. في مقبرة الرابوني هذه دفن الكثير من الأطفال والبنات الذين توفوا بعد قصف 1976 بسبب وباء الحصبة والجوع. ذلك الخليط من الموت اخترق الباقين على قيد الحياة في وقت لم يكن حتى تسجيل الموتى ممكنا، بسبب الاستعجال لتوفير الطعام للأحياء.

مقبرة أم ادريغة، مكان القصف الجوي، بقيّت في الجانب الآخر من الجدار المبني والملغم من قبل الجيش المغربي لمنع عودة الناس. هو كذلك ممتلئ بالأطفال والبنات. هناك كان يجب دفن أشلاء رفات الجميع، في عجلة من أجل الهروب.

المقابر هي أمكنة صمت. لكن هذه تطالب بالكلام لتقول الذي لم تحظ بالوقت لقوله حينها وبقيت تدور وتدوّن الأسماء في الرمال.







للكتابة عن قصف جوي تجب العودة إليه. تستمع إلى إثنتين، عشرة، خمسين شهادة تتكلم عن الطائرات، خيّم تحترق، مستوصف ورعب يختبئ في الجبال. فتدخل الجو دون أن تنتبه. تستمع، تقارن شهادات، تفاصيل الأماكن، الأسماء، قنابل انفجرت. الأولى دمرت المستوصف الطبي مع الهلال الأحمر، وأنهت حياة الشائعة، الممرضة التي كانت تعالج الناس مع طفلتها التي كانت في أحشائها. تتشابك المعطيات. من كانت هناك بجانبها، التي عاشت الحدث، الذي أضاع أو فقد، من اهتم بالناس، ومن دفنهم.

قابلنا أقارب الموتى، وقابلنا أشخاصا جرحوا. علامات الحياة تلك ليست دعاية ولا إحصائيات. إبراهيم باربيرو كان طبيا وكان هناك. وعندما بلغ منه الإجهاد مبلغه، تعب من الرعب ومن الاعتناء بالناس، جلس تحت شجرة ليستريح. جاء حسنّه مسرعا لتنبيهه بأن جمجمة كانت تتدلى فوق رأسه من بين أغصان الشجرة. الكوارث لها تفاصيل لا يمكن تخيلها أبدا.

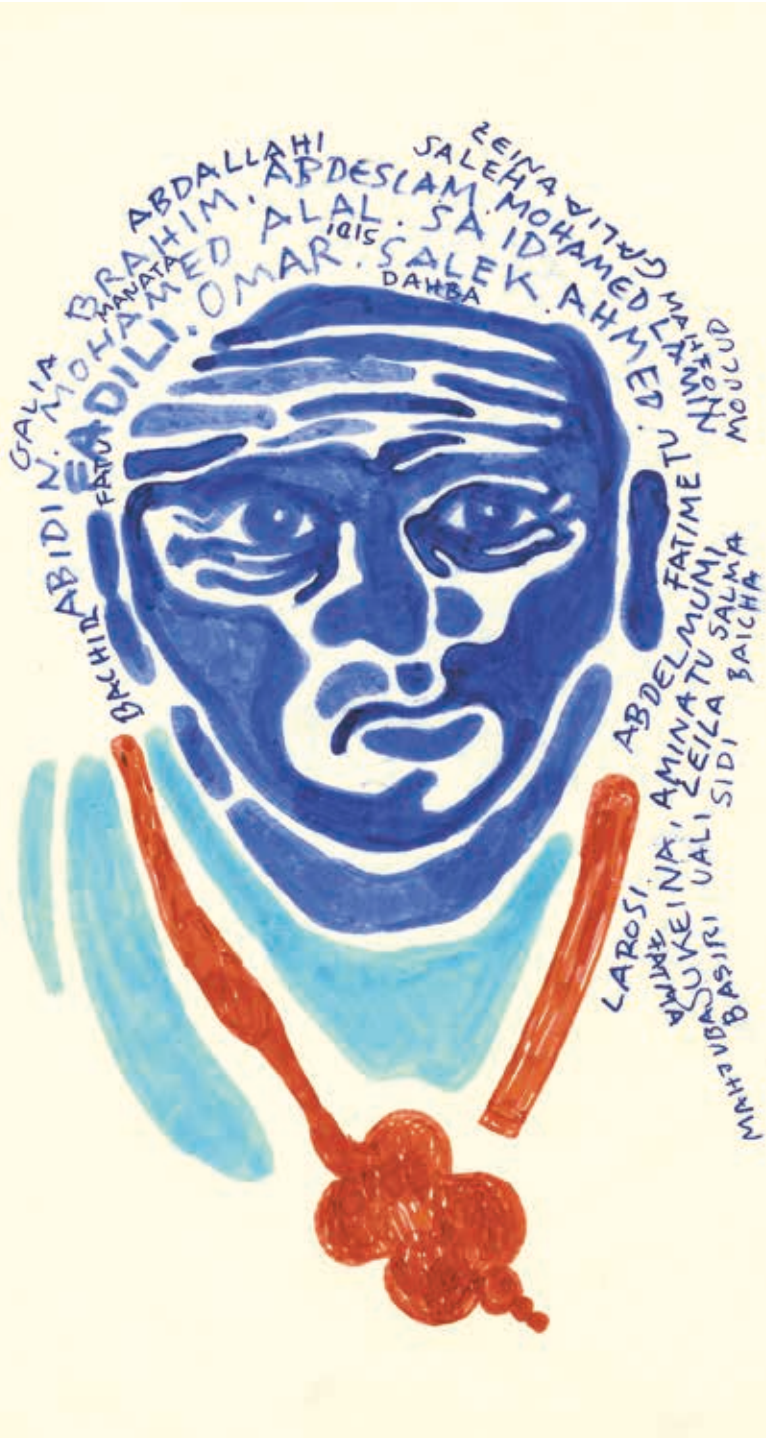
في نفس الوقت، أعود إلى ذكرياتها المجزأة. فقدت ازوينانة ذراعها وهي طفلة ذات أربع سنوات وفقدت والديها، ومعهما طفولتها. أناس آخرون ممن أتحدث إليهم هذه الأيام، دفنوها (أي الذكريات). الشاهد على موت امرأة أخرى، لم يتمكن أبدا من إخبار عائلتها. قمنا بوضع قائمة بالأسماء. خمس وأربعون قتيلا وثمانون جريحا. عائلات بأكملها. ذلك ما يتذكره الناجون الذين أجرينا معهم مقابلات. هناك أكثر من ذلك. يجب أن تحفظ الأسماء في مكان أكثر احتراما وتكريما من نسيان المقابر الجماعية التي تؤويها في انتظار زمن الحقيقة.

منذ مدة سألت الكثير من الصحراويين وسألت بعض الأصدقاء العاملين في مجال التضامن، لماذا مخيم الداخلة أبعد من المخيمات الأخرى؟ بينما الرابوني، السمارة، أو العيون، تلك الأسماء العائدة إلى وطنهم، تقع على مسافة نصف ساعة لسيارة اللاندروفر، في حين أن الداخلة كانت على مسافة أربع ساعات. لم تكن هناك أسباب عسكرية أو أمنية، أو أي شيء آخر من الأشياء المختبئة والتي يجب النظر إليها دائما لفهم جغرافية النزاع.

في هذا الصباح وصلنا إلى مخيم الداخلة للحصول على شهادات حول قصف أم ادريغة. الناجون من القصف كان معظمهم نساء بقين على قيد الحياة. الترشة، تحكي لنا قصة القصف والهرب. وصلوا شيئا فشيئا إلى الرابوني، اجتازوا الليالي في شاحنة ما كان بمستطاعها تجاوز سرعة العشرة كيلومتر في الساعة، وتسير بلا أنوار في الظلام الحالك، حتى لا تتم رؤيتها، وبدأوا يمكثون في أماكن الاستضافة، في منطقة الحمادة قرب تندوف، قاعدة عسكرية جزائرية. حين وصلت هي ومجموعتها، كان الناس يستمعون إلى خطاب ترحيبي يلقيه الولي، زعيم البوليساريو، سُمع صوت طائرة جزائرية تهبط في مطار تندوف العسكري. بدأ ضحايا قصف أم ادريغة يرتعدون، منهم من فقد الوعي، ومنهم من أطلق ساقيه للريح مثلما فعلوا قبل أيام للنجاة بأرواحهم.

تطلب الأمر تحضير الأواني، والتمور، وبعض متطلبات الشرب لمرافقة قافلة أخرى. رغم أن الجزائريين لم يكونوا راغبين في التخلي عن الكثير من الأرض، لكن الصحراويين تمكنوا من جعلهم يسمحون لهم بإقامة مخيم بعيد، حيث لا يمكن سماع صوت الطائرات، أين يمكن للناس العيش في طمأنينة دون تذكر القنابل بصفة دائمة. هناك أشياء توضح كل شيء دون الاحتياج إلى الأرقام أو الكلمات. إنها أدلة مثلما هي ضربة أو جرح. وبذلك، أصبحت مسافة الأربع ساعات بين الداخلة وبقية المخيمات تشكل الدليل الأكبر على القصف، والإجراء الأوّلي للصحة النفسية لشعب بأكمله.




ABDALLAHI
ABDESLAM
SALEH
MOHAMED
ZEINA
GALIA
BRAHIM
ALAL
SAID
MOHAMED
1915
SALEK
AHMED
OMAR
DAHBA
GALIA
MOHAMED
HANATA
ABIDI
FATU
BACHIR
ABDELMUMI
FATIMETU
SALMA
BAICHA
SIDI
ZEILA
AMINATU
UALI
LAROSI
BASIRI

الرّابوني: مقر جمعية أولياء المعتقلين والمفقودين الصحراويين

القاعة ممتلئة. محمد الأمين رجل مسن ذا وجه مؤلف من الصحاري وتاريخ شعبه. إنه واحد من أولئك الرجال بالأزرق، بكرامة تنضح من جلده. لا يحتاج للكلام عن ذلك، فقط بلثامه وعينيه اللتين تنظران إليك.

يروي قصته التي هي قصة آخرين. ستة وأربعون شخصا اعتقلوا معه، يقول معددا الرقم الذي يحفظه عن ظهر قلب، ستة رافقوه طول الوقت. ويبدأ بالإدلاء بأسمائهم واحدا بعد آخر. بعد ذلك أسأله عن البقية. ويواصل دون تردد. كل واحد باسمه الثلاثي، اسمه، واسم أبيه، واسم جده. أنا أكتب كيف أمكنني ذلك، بينما تتكفل آلة التسجيل بتذكيري بكل شيء.

عندما ينتهي أخيرا، عدّد واحدا وعشرين. بعد ذلك أخذنا راحة. خمس دقائق ليتمكن عبد السلام الذي كان يترجم منذ ساعتين، من أخذ نفس بين اللغات ليشرب سيجارة. ثم عدنا. قال محمد بأنه أثناء الراحة تذكر أسماء أخرى. لا يحتاج أخذ نفس. يواصل في تعداد اللائحة وأستمر انا على أثره. اثنا عشر اسما إضافيا، لرجال ونساء. يتريث قليلا ملتفتا نحو اليمين ونحو الشمال. عبد السلام يترجم حركاته. هناك واحدة أخرى، لكنه لا يتذكر، يعلم انها ابنة محمد فاظل كرّوم. ثلاثة عشرة زايد ستة زايد واحد وعشرون يساوون أربعون.

عندما انهينا المقابلة، أحيلت الكلمة للناس الذين كانوا يلاحظون ويستمعون بانتباه تام. هم، وهن شهود أمام المحكمة العليا على المجزرة. يستمعون ويتعلمون. والآن يسألون. أنا ظننت أنهم سيسألون عن المقابلة، حول ما يمكنه أن يكون مهما بالنسبة للمحامي او القاضي. لكن لا. هم، وهن كانوا يطلبون الكلام ليسألوا محمد. ولإضافة أشياء أخرى، أسئلة لم أطرحها أنا، يهتمون للتفاصيل، تناقضات ظاهرية، قصصهم تهمهم. قصص تهمنا.


DURANTE 3 DÍAS NO HABÍA COMIDA. SOLO UN SACO DE HARINA Y AGUA. COMIERON ESTO
NO TENÍAN ROPA. NO TENÍAN CON ARMAS EN POSICIÓN DE COMBATE. VIGILADOS A TODAS HORAS
VIGILADAS POR GUARDIAS LAS ATARON. CONVIRTIERON LAS CASAS EN CELDAS.
LAS MUJERES QUE NO TENÍAN HIJOS EN SU CAMPAMENTO, 22 JAIMAS EN LAS AFUERAS DE SMARA. CUATRO HIJOS.
ENTRARON EN EL 1975 EN EL FUTURO DE MUJERES SAHARAUIS. DIEZ AÑOS DE ENCARCELAMIENTO.
59 AÑOS, FORUM
LUCHA Y SUFRE.
SIGUE RESISTIENDO TODA SU VIDA.
ESTO HA MARCADO TODA
SUKEINA

اعتقلت سُكينة في يوم من أيام فبراير 1980. حضرت الشرطة إلى بيتها لاعتقالها على الساعة 12 ليلا. الضباط لم يكترثوا لزوجها الذي ترجاهم باسم من يهتمون لأمرهم، مؤكدا أنها ستحضر في الصباح عند مفوضية الشرطة.

ـ لحظة فقط ـ قالوا له ـ ستعود بعد قليل.

تلك العبارة ـ ستعود بعد قليل ـ تشكل جزءا من سلسلة الاختفاءات القسرية في الصحراء الغربية. ابنتها ذات الشهرين، كانت تغط في النوم. باعتقال سكينة سيقطعون روابطها بها. ابنها أبو الأربع سنوات نائم كذلك، لكنهم لم يرأفوا.

سكينة تظهر ثديها الأيمن. قالت بأنه كان ممتلئا بالحليب وطلبتهم بأن يسمحوا لها بإرضاعها.

ـ لا.

عندما أخذوها إلى المخفر بدأ نوع جديد من التعذيب. ضربوها. جردوها من ثيابها. علقوها. أهانوها. تقول عيناها وتقول دموعها. هناك ظلت أسبوعان. من هناك أخذوها إلى أحد السجون دون المرور على قاض أو ما يشبهه. بعد ذلك إلى معتقل سري قضت فيه عشر سنوات.

عندما خرجت في 1991، مع مجموعة من 321 شخصا كانوا في عداد المختفين لمدد تراوحت بين ثلاث، وعشر وخمسة عشر سنة، عاودت اللقاء بعائلتها. لكن وجدت ابنها فقط. الصغيرة ماتت بعد شهرين من اعتقال أمها. سُكينة، منذ لحظة الاعتقال، لم تعرف أي شيء عن ذويها. ولا هم عرفوا عنها.

عندما خرجت إلى العالم، انهار الأخير فوق رأسها. عندما أسألها كيف أنت الآن، تقول لي ممسكة بثديها الأيمن:

ـ كان يؤلمني هذا.

ابنها المسمى الشيخ الذي يبلغ اليوم خمس وثلاثون سنة. يوجد هناك إلى جانبها، متقاعس قليلا إلى الخلف، جدي، صامت. منذ 2005، عندما بدأ حراك الشباب ضد انتهاكات حقوق الإنسان، بعد أن قررت الدولة المغربية مضاعفتها واختارت لذلك الكثير من الضحايا الجدد، دماء جديدة. هذه المرة لم يكن ذلك الطفل ذو الأربع سنوات الذي شاهد موت أخته الصغرى، وإنما ذلك الرجل الذي بعد 2005 خبر الاعتقال مرات عديدة. ثلاث ساعات. ثلاثة أيام. في المخفر. بتهم متعددة تتلخص في أنه غير موافق على الواقع الذي يعيش فيه، وأنه هناك واقع آخر يطمح إليه: الاستقلال. بتهم أو من دونها، كلها تحمل رسالة واحدة، مضمونها: لا تتحرك.

حتى قالت له أمه، سكينة: اذهب، لا يمكنك العيش هنا.

ـ هل تدرك معنى أن تقول أم لابنها: اذهب؟ يترجم المترجم.

ليس سؤالا للإجابة عليه، إنما هو سؤال للصراخ.

مقابلتنا في مخيمات اللاجئين في تندوف. 37 سنة بعد اللجوء الجماعي في 1976، مازال هناك آخرون مثل هذا، روايات بالتقطير. في لحظة أسأله أن يروي لي أكثر عن معاملة الشرطة له. يبقى صامتا، مر على ذلك مرور الكرام مرتين، كما لو كان الجمر يشوي إحدى رجليه المتقاطعتين.

ـ لا يمكنني الكلام عن ذلك بحضور أمي. أخجل منه. سيؤلمها.

سكينة تستمع إليه في انتباه. بعد ذلك، وأمام الجميع، تقول له عليك أن تروي ذلك، لا تخجل، ستشعر بالراحة وعلى العالم أن يعرف. أنت سمعت مني أنهم جردوني من ملابسي.

في تلك الغرفة المشتركة مع ضحايا آخرين، يستمعون ليتعلموا كيف يتكلمون عن أنفسهم، العالم هو نحن والقليل الذي نستطيع فعله.



كانت بعثة الأمم المتحدة والوحدة الإفريقية الأولى ستصل إلى العيون في 20 نوفمبر 1987. في إقليم الخوف، كان بعض الناس يتحركون تحضيرا لمظاهرة تطالب بإجراء استفتاء ضمن مجموعات صغيرة تكاد تكون غير متعارفة فيما بينها. تدثرت الغالبية بالمناشير والأعلام تحت الملحفة. البعض اعتقلوا قبل أن يرتدوا ملابسهم. وآخرون اعتقلوا عندما بقوا منفردين تائهين في الشوارع. حريز العربي وإبراهيم بنسامي هما اسمي الرعب المعروفين من قبل جميع من مروا بسراديب الموت لدى النظام المغربي في الصحراء الغربية. تمت الاعتقالات غدرا، في الليل، وبنفس الطريقة تم إخفاء المعتقلين بنقلهم إلى PCCMI، ومن ثم إلى أبعد من ذلك، إلى البير BIR في الشاطئ، من أجل أن لا تتمكن بعثة الأمم المتحدة والوحدة الإفريقية حتى من اشتمام رائحتهم. وبذلك سخِر النظام من الذين جاءوا للإطلاع على أوضاع السكان الصحراويين. بداية لأمرٍ كثيرا ما تكرر.

محمد عيّاش كان معتقلًا مع أمه وبعض أقاربه الآخرين.

ـ عذبونا بطريقة وحشية، لكن ألّمني أكثر ما كانوا يقولون لي.

السالكة تألمت كذلك من الصراخ الذي كانت تسمعه. عالم من الآهات. من بينها آهات ابنها.

ـ كل عذاباته وكل معاناته، كانت تخترق أذنيّ.

محمد مات بعد عدة أيام في الواجهة الأخرى من الجدار. ومازال صدى ذلك يصلني حتى اليوم. حتى شمس هذا اليوم في العيون الذي تروي فيه السالكة حياتها. عندما سألتها كيف واجهتْ خسارة ابنها، تكلمت بيديها وأشارت إلى إبراهيم، مترجمي، الذي كان هو الآخر واحد من شباب عالم الصراخ. بعد ذلك قام بالترجمة:

ـ الحب الذي كنت أكنه لابني قمت بتوزيعه بين جميع الآخرين.

وأنا، عندما ودعتها، أطلب منها فسحة صغيرة لي.





ـ لا أتذكر كل تلك الأشياء التي سببت لي فقدان العقل.

قبل ذلك تتذكر أنها كانت في بيتها واعتقلت مع زوجها وأخذت إلى PCCMI. كان يوما من 1980، رغم أن التاريخ الحقيقي يحسب بكونها كانت في شهرها التاسع من الحمل. مقيدة ومعلقة، قرر الجلادون استخدام الحمل كأداة للتعذيب. يصبون الماء على بطنها الممتلئ لتصاب بالرعب من أن يخرج الجنين من سرتها. بعد ذلك نقلوها إلى المستشفى ليولد طفلها بين الشرطة. كان المستشفى امتدادا للمعتقل السري، لكنهن كن هناك مجتمعات. جاءوا يوما وأخذوا ابنتها، وعصبوا عيناها هي ومرروا شيئا فوق جسمها من الرجْلين إلى الرأس. بعد ذلك أعيدت إلى PCCMI وتنقلت بين ثلاث معتقلات سرية في العقد الموالي. لا تتذكر شيئا من تلك الفترة، رغم أنها بعد ذلك علمت أن التضامن كان هو الذي ساعد في بقائها على قيد الحياة.

عندما بدأت في استعادة ذاكرتها، لم يتم ذلك بين عشية وضحاها. لا تتذكر ابنتها المولودة حديثا، ولا أبناءها السبعة الأخرين الذين تركتهم في البيت. تؤلمها رجلاها وترفض التحرك. استعادت ذاكرتها في البداية، وشيئا فشيئا استعادت معنوياتها.

الطفلة سجلت باسميْن اثنين، مكفولة بمعنى المحمية، والعائلة أعطتها اسما آخر، أم السعد بمعنى ذات الحظ السعيد. حاجتنا ابنة أخرى عمرها سبع سنوات عندما اعتقلت أمها، فقدت هي الأخرى عقلها، ومازالت تبحث بين الأحضان، والحبوب والعلاج النفسي.

ـ توجد دراما نسائية نعيشها في صمت، وذلك ليس جديدا. والإخبار عن ذلك هو الطريقة الوحيدة التي ستساعدنا.



في معتقل PCCMI لا يتركون المعتقلين ينامون. لا يهتمون بالحصول على المعلومات أو بالتحقيق. إنها معاملة احتقار فقط وتشكل جزءا من يوم المعتقلين وليلهم. في أحد الأيام اتفق السجناء على أن لا يستيقظوا وأن لا يقفون، فقط سيحاولون ان يناموا. التمرد بالنوم. الشخص الذي كان قرب الباب اعترض لأنه يعلم أنه في المدخل، وإذا قمنا بذلك سيبدأ التعذيب به.

ـ في ذلك اليوم بدءوا بزنزانتنا، كنا 15. كانوا يضربونني بالعصي، وأنا أصرخ. من الزنزانة الأخرى وكان صديق آخر يصرخ لأنهما شقيقين وظن هو أن من يعذب هو شخصه الثاني. كنت أحاول الصمود.

كان الجميع نياما أو يتظاهرون بالنوم، لكن لا يمكن أن يمر التمرد بدون عقاب. وصل المئات من الجلادين. ووقفوا بشكل دائري، يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى مع هراواتهم. إبراهيم مكبل اليدين ومعصوب العينين يحاول جاهدا الفكاك. ما أهمية الموت. حينها سقط على الأرض، مثلما نأتي إلى العالم قبل أن نولد، لكن ينظر إلى الأعلى. بينما كانوا يضربونه.

ـ في العيون قليلا ما تمطر، وعندما يحصل ذلك، أحب التجول في الشارع والوقوف تحت المصباح لأرى تساقط المطر.

هم كانوا كثرا وكان لديهم عصي، لكن إبراهيم ظن أنها كانت تمطر مطرا أسودا في ساحة. لذلك بقي ينظر إلى المطر حتى عجز عن التنفس.

I

عبد الله ظل معتقلا أحد عشر عاما في مركزين للإبادة.

ـ هناك الكثير من التجربة لمعرفة كيف نموت ـ يقول.

هو كاد أن يكون واحدا، بل أول من كان على طريق الموت في آكدز. عندما كان يتكلم، يفكك الخطوات التي خطاها دون أن يتحرك في الزنزانة. أول ما يحصل للشخص هو أن تمرض لثته. تبدأ في التقيح، تصبح لينة وتنتفخ لتملأ الفم. بعد ذلك يمر الألم نحو المفاصل. يبدأ من الركبتين وينتهي بالذراعين. ويتم ذلك بانتظام، واحدة بواحدة، ليست الركبتان معا. أولا واحدة وبعد ذلك الأخرى، ويصعد الألم نحو الذراعين، أولا واحد وبعده الثاني. الأرجل تنكمش كذلك، ولا توجد طريقة لتمديدها. يواصل روايته للأيام التي كان عليه أن يعيشها. كل شيء بوضوح ودقة. الأسنان على عكس ذلك تبقي في مكانها.

هرِم وتآكل كل شيء، لم يبق سوى الجلد والعظم. في وضع جنيني، بقي عبد الله كطفل صغير بأرجل طويلة، حيث فقد وزنه حتى أصبح بإمكان أي كان حمله بين ذراعيه. بعد ثلاثة أشهر كان في الوضع النهائي، عندما كان القلب يرتبك كما لو كان يريد التوقف في أي حركة صعيرة. حين يتكلم، تتراءى لي علامات الجوع والإسقربوط وأمراض الإبادة.

السجناء الآخرون يبحثون عن حبات قليلة من العدس ليعطونها له في بحر من الماء، كانوا يجمعونها واحدة بواحدة، يطحنونها ويعطونها له كشراب. نوع من المصل قطرة بقطرة. رغم أن عبد الله لا يستطيع تحمل المزيد. يقبل الموت لأن تلك الحياة كانت مزرية إلى درجة أنها ليست حياة.



II

وضعه أربعة فوق حمالة وأخرجوه إلى الفناء. بين الإغماء والوعي كان عليه سماع كل شيء:

ـ إنه في الرمق الأخير، وإذا أعدناه إلى الزنزانة سيموت وسيكون علينا دفنه في الليل، أنت تعرف ما هي التعليمات. لذا من الأفضل أن ندفنه الآن.

سجناء آكدز علموا بعد ذلك بزمن من خلال أحد حراسهم، بأنهم يقومون بكسر العمود الفقري للموتى، ليتأكدوا من أنهم ماتوا بالفعل.

بقي الرقيب مفكرا، وفي ذلك المساء رزق الحياة:

ـ سنعيد الشاب إلى الزنزانة، إذا مات أضربوا الباب وسآتي أنا لدفنه.

في صباح اليوم الموالي، حضر الرقيب مع ممرض وأعطوه حقنة: سينجو أو سيموت. رأى السجناء الآخرون المحقنة وكانت محقنة للخيل، حقنة بعد حقنة، فيتامينات وخلطات أخرى ملأت جسمه. بعد يومين بدأ عبد الله يتحسن، انكمشت لثته عن لسانه وأصبح بمقدوره نطق كلمتين. المرة الأولى التي بكى السجناء فيها من الفرح. وهو، الذي فقد شهيته قبل أشهر، بدأ يفقد الشبع، وأصبح يأكل كل ما يقع بين يديه، تحسبا.



III

زمن بعد ذلك، حين كان السجناء في الساحة، جاء الرقيب. بعدما أنهى عد السجناء أمرهم بالانصراف، لكن قال له، أنت، تبقى معي.

عندما بقيا لوحدهما، سأله:

ـ هل تعلم لماذا فعلتها؟

ـ .....

فعلتها لأنني نظرت إليك وبدوت تشبه ابني.







اعتقل البطل لحبيب لأنه رفض أكل لحم جمل. كان يعرف صاحب الجمل ويعتبر أنه من غير المستحسن سرقة وأكل مال الغير. قبل ذلك بقليل حدث نفس الشيء مع لحويمد عضو الجيش المغربي، ما يسمى القوات المساعدة، حصل معه نفس الشيء عندما قامت وحدته بنهب قطيع واعتقل هو لرفضه أكل المال السليب. قصص عنف كثيرة تولد هكذا من اللامعقول. اعتقلت المامية وعمرها 14 سنة، هي وكل عائلتها لأنها شقيقة عضو في جبهة البوليساريو متواجد في الجزائر. وحصل نفس الشيء مع محمد فاضل الليلي وكل عائلته. ومع سيد البشير الذي كان راعيا، لكنه تواجد في المكان الخطأ. ولأم ابشيرنا، لأنه كان لديها من السكر ما يفوق حاجتها وذلك يعني أنها كانت تزود البوليساريو. علي بلاّغ، لأنه فقط كان متواجدا عندما أتوا لاعتقال شقيقه، ولأن القمع له اقتصاده، من أجل واحد اعتقلوا اثنين. أمينتو حيدار بقيت مخطوفة ثلاث سنوات وسبعة أشهر على مسافة شارعين من المكان الذي كانت تلعب فيه وهي طفلة. شقيق بازيد السالك ضربوه مرات عديدة لأنه توأم شقيقه، المدافع عن حقوق الإنسان.

عامل العشوائية وإشاعة العنف لهما منطق معين، ليس فقط للوحشية أو لضعف في القدرة على التسديد. بتلك الطريقة يتم البحث عن أي معلومات حينما يتحول الخوف إلى رعب. الاستنطاقات الأولى تبرهن على أن العسكريين لا يعرفون شيئا عن البوليساريو، والاعتقال والتعذيب كان شكلا من التمحيص، وخاصة لتحطيم أي مساندة ممكنة. معظم السجناء أخضعوا لسوء تغذية مقصود، لكن حين يتعلق الأمر بمناضلين معروفين من جبهة البوليساريو تتبع جلسات التعذيب بحصص تغذية وافرة، للتمكن من الاستمرار في الغد. عقلانية القسوة.



EN LA CARCEL NEGRA

سبق لنا أن سمعنا كلاما عن المقابر الجماعية، عن مكان يدفن الناس فيه أحياء، كلهم تقريبا كانوا من جيش البوليساريو. لكن لم نسمع بشهادة أحد كان هناك. هو اعتقل، وبعد ذلك اتهم من قبل طفل بحمل مؤن في سيارته اللاندروفر. الطفل الذي اتهمه كان بالكاد يبلغ 14 عاما، وكان مرعوبا وخائفا. البطل كان في الحفرة مع أشخاص آخرين، إلى جانبه ملتصقين بالحائط البارد، على عمق ثلاثة أمتار تحت الأرض بينما كانت تصلهم السياط والأحجار. وفي نفس الوقت كان هناك ملازم جالس مسلح بدفتر وقلم، ويسأل. الحفرتان كانتا مصنوعتان بحفارات وكانتا مختلفتين. واحدة فيها أسلاك شائكة وأضواء كاشفة، الثانية كانت مكانا للاستنطاق. هناك ضربوه حتى قارب الموت. إنه شاهد على موت صديقه محمد ولد البو ولد البشير الذي مات تحت التعذيب. هو شاهد لأنه كان يشده من ذراعه، بعد ذلك انفتحت يده ومات. المعلومات الرسمية تقول بأن محمد مات في معسكر لمسيّد «بسبب الظروف». بعد ذلك نقل البطل إلى زنازنة قريبة كان بها أشخاص آخرون شاهدوا كيف أحضروه شبه ميت. بقاءه على قيد الحياة مثلما قال له العقيد العمرتي كان خطأ، وأباه كان عقيدا في الجيش المغربي. أخرج الطفل من الزنزانة وأنزل في الحفرة. ظهر اسمه في المعلومات الرسمية كحمدي ابراهيم السالم مولاي الحناني «معتقل في معسكر لمسيّد قرب طنطان أين تم اختطافه ومات بسبب الظروف».

الاستماع إلى ناج من مجزرة مخططة له بعد آخر. إنه يشبه أن تكون في مكان لا يمكنك التنصل منه، مثل الهذيان أين تشتم الشهادة أو الأدلة. التحقيق في رعب من هذا الحجم يدفعك إلى البقاء منتبها لكل التفاصيل. إلى جمع كل القطع. عندما تنتهي، لا تدري أين بقيّ أعزاؤك.



معلقون ورؤوسهم إلى الأسفل، عراة، متورمون، وجرحى. صفية امبارك أخذت إلى المكان الممتلئ بالرجال الذي بدى وكأنه مجزرة. بالكاد بلغت 20 عاما. أخذوها للتعرف على أحدهم وسيبقى الرعب يلازمها. لكنها لم تستطع التعرف على أي واحد من أولئك الأشخاص المشوهين. عندما قالت لا أعرف أي واحد منهم. اعطوها جرعتها. زوجها كان من بين اولئك المعلقين، وكان لا يريد أن يلحقها ما لحق به، فتمتم:

ـ إنه أنا.

أخذوها إلى قاعة تعذيب النساء العاريات المكبلات الأيدي اللاتي عانين نفس العذاب. صفية كانت ترضع ابنها الحديث الولادة عندما اعتقلت. بعد أيام طويلة، أصبح ثدياها متورمان وممتلئان بالرضوض، وقاسيان صلبان كالأحجار. كانت النساء الأخريات الجريحات يقمن بمساعدتها على استخراج حليبها. واحد من تلك الأيام أغمي عليها واستفاقت في المستشفى. عندما عادت كان تعذيبها قد انتهى، لكن النساء الأخريات، كن يُحملن ثلاثا بثلاث كل ليلة خارج الزنزانة حتى الصباح. بقيت عاما كاملا مختفية. أما زوجها عريف الشرطة الإسبانية السابق وشقيقها، فمازالا مختفيين.

بقي الصالح وأبناء أعمامه، مع جدتهم. كانوا ثمانية على العموم. آباء وأمهات الجميع كانوا معتقلين كلهم. أشهر بعد ذلك، كانت المجموعة التي من ضمنها صفية سيطلق سراحها، رغم أنها لا تعلم بذلك. العقيد المدوّر، قال لهن بانهم يريدون نساء. وهن طالبن برؤية أبنائهن. أمر العقيد بإحضار الأطفال الصغار إلى اربيّب. جاءوا سبعة، لكن أمهات معظمهم لم تكن هناك.

ـ طفلي كان من بين السبعة، بيد أنني لم أتعرف عليه.

بعد ساعة أعيد الأطفال مثلما أحضروا. وبما أنهم كانوا رضعا لا يمكنهم الكلام. لذلك قررن تعليمهم لغة الإشارة. شققن ملاحفهن بأسنانهن وقصصن شعر رؤوسهن، ووضعن رسائل حياتهن، بين ملابس وحفاظات الأطفال.





ديك ودجاج مشوي. يضع الجلادون أسماء للرعب للتعايش معه. لذلك لا داعي للنظر في المرآة. في أحاديثنا في هذه الأيام، يصفون قصصا يعرفها الكثيرون. من بين الساقين المثنيين والذراعين يمرر قضيب حديدي يعلقك بين طاولتين. كلما وصف أحدهم أسلوبا تعذيبيا تتصور اللوحة، المسافات بالألم. الأصعب هو تصور الموظفين الذين يؤدون عملهم. سبق لهم تعريتك. الحديث عنه مؤلم. كل عذاب يأتي مع عذابات أخرى. بالفلقة التي تولى العسكريون الأتراك تصديرها إلى قارات أخرى والتي تجعل الأرجل التي تعرضت للضرب تنفجر أو تصاب بالغنغرينا. الكهرباء التي تبحث عن النقاط الأكثر حساسية. من بين الجلادين يوجد دائما كثيرون بزيهم الرسمي وآخرون بثياب مدنية.

نفس الأسئلة دائما منذ 1976. أعلام. من يساعدك. مناشير. علاقات بالبوليساريو. هل لديك أقارب في المخيمات؟ في قلعة امكونة يعاد البدء في التعذيب مع القادمين الجدد.

النعمة الوالي سأل عن والده، كان يريد أن يعرف إذا كان معتقلا في نفس المعتقل السري. لكن الأسئلة كانت ممنوعة:

ـ إذا عدت للسؤال عن أبيك قد تفقد حياتك.

أبوه وجدّه كانا هناك. في زنزانة أخرى. تحت قيود أخرى.



من بين أشكال التعذيب في المراكز السرية، الأوساخ والقاذورات كانت لها مكانة التقنية. سيدي إبراهيم ظل معتقلا بشكل سري في PCCMI ثلاث سنوات، متهم بقيادة الشباب الصحراوي الذين هجّرهم النظام المغربي من بلدهم لتذويبهم في المدن المغربية كما لو كانوا قطعا من السكر. أسماهم النظام «أشبال الحسن الثاني». حاول بذلك تقليص المقاومة في المناطق التي احتلها بصفة غير شرعية في 1975. اتهم سيدي من قبل (الوالي) المحافظ إوشّن، الذي كان حينها محافظا لمدينة سطات المغربية، بأنه رفع علما وأنه يحرض الـ 36 شابا المسجلين في المدينة على العودة إلى الصحراء. سبق للمدعو إوشّن، أن عمل كمدير عام للقضايا الجمركية في كامل الصحراء. بمعنى أنه يعرف الحدود.

انتشر القمل بين سجناء وسجينات PCCMI وعم على كل مناحي أجسامهم التي كانت تعاني الحكة، ويشاهد القمل زاحفا رغم أن أعينهم كانت معصوبة:

تمكن سيدي من الحلم او من الهذيان، رغم أن جسمه كان ممتلئا بالقمل. حلم بأنه كان في شارع يبيع القمل للناس يزنه بكفة ميزان. نصف نائم ونصف مستيقظ، الحراس يدخلون ويجدونه يتكلم وحده، ومنع الكلام يشمل الأحلام. يتعلق الأمر بكابوس مازال حتى الآن يعاني منه. حين يتذكر السجن يتألم كثيرا، يكتئب، يعود للكابوس ولا يستطيع السيطرة على نفسه. لا يمكن لأي كان أن يتصور أن التعذيب يكون تجربة فظيعة ومدمرة. لكن هو لديه مخاوفه الذاتية:

ـ طريقتي للعلاج هي محاولة تذكر الأوقات الجميلة التي عشتها قبل الاعتقال.

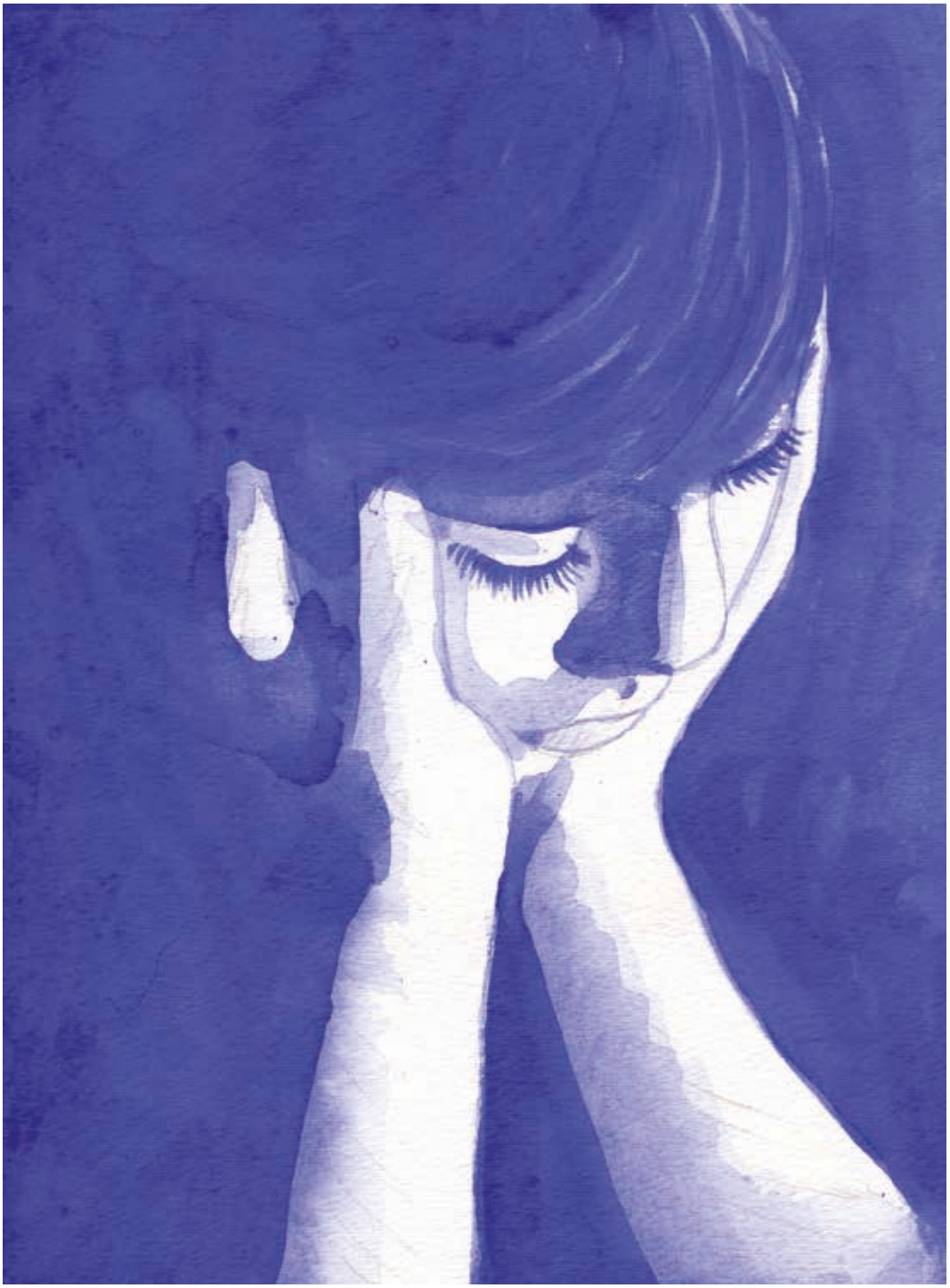
العذاب يُتحمل إذا كان آتيا من الخارج. حتى ولو كان شديدا. مثل القضيب الحديدي بين الرجلين، التعليق الذي يخلع الكتفين بينما تسبح رجلاك في الهواء. كل العذابات التي يتذكرها إبراهيم في جسده هي جزء من تركيا الثمانينات، من ديكتاتورية الأرجنتين أو الشيلي، من جرعة الرعب الزائدة المتطورة جدا. بقي على قيد الحياة بعدها جميعا. لاحقا، عندما كان السجناء كلهم مع بعضهم، يقضون الوقت دون القيام بشيء غير الصمت الطويل. ثلاثة أشهر، وأعينهم معصوبة. بطانية لكل ثلاثة أشخاص. كل ثلاثة أشخاص يتدثرون كيفما استطاعوا، الأقوى يضعونه في الوسط لتحمل الضغط ولإعطاء الدفء للاثنين الآخريْن.

هناك تعذيب أثناء جلسات التحقيق تمارسه أجهزة المخابرات. بعد ذلك هناك تعذيب الحراس. وهذا يتمثل في أمر سجين بضرب آخر. صحراوي يضرب صحراويا آخر.

ـ ذلك ألمني كثيرا ـ يقول إبراهيم.

في أحد الأيام جاء الدور عليه. نزعوا العصابة عن عينيه وأمروه أن يتوجه إلى الزاوية الأخرى من الزنزانة وأن يضرب السجين الجالس، مكبل اليدين وعيناه معصوبتان. عندما انتقوا السجين الذي عليه أن يقوم بضربه، تعرف هو عليه: أحمد. لكنه لم يستطع أن يقول اسمه. حينها مرّر يده ـ حينها، والآن وهو يتحدث معي ويشرح لي ـ هكذا ملامسا كل وجهه بكف يده. ذلك الحنان يجعلني ارتعد الآن. أمره الحارس: أضربه. ثم أعادوه وعصبوا عينيه. فأمر الحارس سجينا آخر أن يضربه هو، وضربه. وتشتعل عينا إبراهيم حمرة مائية، مثل ذلك الوقت. لا يؤلمه التعذيب، ظن أنه مر بكل ما هو سيء. يؤلمه أن يضربه أخاه.





أبي غائب، هكذا ابتكر الأطفال والبنات مبررا للتعبير عن اللجوء أو للاختفاء القسري.

الكثير من الأمهات علّمن أولادهن حماية مجالهم للحياة في مدرسة لا تعترف بهم. فهم منذ أن ترعرعوا يستمعون إلى قصص المعاناة، والاعتقالات والاختفاءات، وبينما كان الإخوة يتعلمون الكتابة في نفس الألواح الصغيرة لأن الحياة لا تسمح بأكثر من ذلك، كان عليهم أن يتعلموا أيضا استراتيجيات للبقاء على قيد الحياة.

في المدرسة سألوا عن الآباء. لا يمكنك القول بأنه ميت، لأنه حي. لا يمكنك القول بأنه لاجئ، لأن المصطلح لا وجود له في قاموس النظام المغربي الذي يصل حتى إلى المدرسة. يمكنك أن تقول بأنه مختطف من قبل البوليساريو، مثل ما تقول الدعاية الرسمية للدولة حول مخيمات اللاجئين، لكنه ليس كذلك.

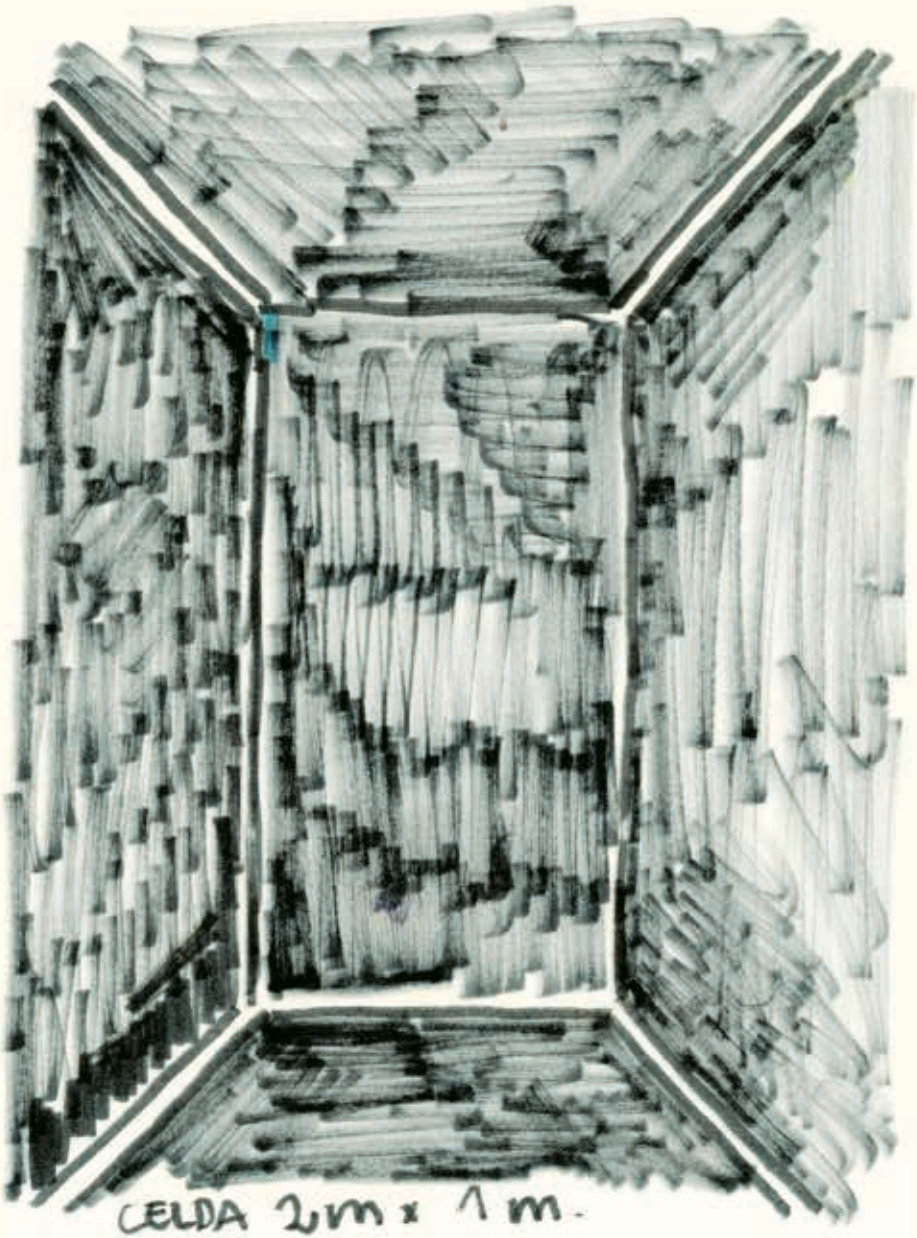
ـ كانت أمي تقول لي بأن أقول بأنه غائب، لأنها كانت تخشى أن يعتقلوننا. لذلك قررت الإجابة بأنه ميت.



لديك رقم. الرقم 75. من الآن لن تتسمى بالاسم الذي تعرف. الآن أصبحت 75. إذا سألوك عن اسمك ولم تجب برقمك، يصفعونك. تعصيب العينين من جديد. لا يمكنك أن تتكلم أو أن تصرخ. إذا كان لديك ما تقوله أو تطلبه من الحاج. هم كذلك لا أسماء لهم، لديهم أرقام يوقعون بها نوبات الحراسة وتقارير المركز السري. أرقامهم وسيلة للإفلات من العقاب. أما اسمك أنت فهو أداة ازدراء. من قال لك بأنك 75؟ تتهاطل الصفعات. أنت 23، خمس دقائق بعد ذلك، ما إسمك؟ إذا تلعثمت يبدؤون في تعذيبك. 23. أنت متأكد؟ لا، أنت بت غير 23، أنت الآن 150. في أحد الأيام يقوم الجلادون الذين تعلموا هذه التقنيات لمحو الشخصية في مدارس المخابرات العسكرية، بإعطائك رقما ثابتا. فقد مررت بمرحلة الانقطاع والغموض. مررت بتعلم لغتهم لحماية نفسك. تعلمت كيف تحوّل الإهانة إلى طوق نجاة. لقد انتحلت هوية تفقدك شخصيتك. أو أنت في محاولة دائمة لبلوغ ذلك. رغم أنه داخل العلبة، داخل حدود الجدران الداخلية التي بدأت في بنائها لحماية نفسك من محاولات توغلهم في داخلك، تتسمى بالاسم الذي، أسماك به من أحبوك قبل أن تولد حين جئت إلى العالم. هناك عالم آخر غير هذا.

في 1976، قضى صالح ستة أشهر دون أمه، في رعاية جدته. لم يكن الوحيد الذي يحتاج إلى أم وإلى ثدي يُرضعه. أطفال صحراويون آخرون كثر بقوا بلا تغذية. بذلك تغذى صالح من صدور 13 امرأة، تنامى عدد الأطفال المعلقين إلى صدورهن. سنوات لاحقة، في 1984 في جنوب المغرب، كان محمد يبلغ ثمان سنوات، ولديه الكثير من الجيران وإخوة صغار. اعتقلت أمه مع نساء أخريات. خذي هذا الطفل الذي يبكي دون توقف وابحثي، من باب إلى آخر عن امرأة مستعدة لتجاوز الخوف والعقد. مبادرة تهدف بكل يقين إلى حماية أضعف شيء في الحياة.




CELDA 2m x 1m.

تخيّل

عشرة أشخاص في زنزانة صغيرة. لكل واحد نصف متر تقريبا. الحق في نصف متر طيلة خمس سنوات. الحرارة مرتفعة، توجد فئران. وكل أنواع الحشرات. لكن لا يوجد ماء، ولا مكان للاستحمام. تزرع الأمراض هنا أفضل مما تزرع في مواقد المختبرات.

ـ غريب، عندما تقص ذلك على الناس، على أشخاص لم يعيشوا الأمر، لا يصدقونك ببساطة.

الكمّ الضروري من الماء هو 20 لتر يوميا في الحد الأدنى للشخص. في ذلك المعتقل السري كانوا 5 لترات لكل 10 أشخاص، للشرب، للغسل، للنظافة. 2% من الاحتياجات الأساسية في حالة الاستعجال. لا توجد مراحيض، فقط هناك ثقب واحد يقضي فيه الجميع حاجاتهم. هناك من أصيبوا بالإسهال. ثلاث سنوات دون تبديل الملابس. هكذا مرت سنوات المركز السري في آكدز، الذي قضى فيه 29 شخصا نحبهم. دفعوا إلى الحد الأقصى للحياة.



قلعة امكونة

عندما تصل تستقبلك استمارة. عليك أن تعبئ االورقة. أربعة أشياء تعبئها أنت. الأخيرة يتولونها هم. الاسم واللقب، تاريخ ومكان الازدياد، تاريخ دخول السجن السري وتاريخ الوفاة.

ـ هل تفهم ذلك؟ لا يوجد تاريخ للخروج. ذلك معناه أنهم أحضرونا للموت هناك. حتى الحراس كانوا يقولون لنا ذلك: «جئتم إلى هنا للموت، ليس لأن تعودوا أحياء».

عندما كان أحدهم يلفظ أنفاسه الأخيرة، نقوم نحن السجناء بمناداة الحراس، رغم معرفتنا للأوامر: لا تنادوا حتى يموت.



طريقة التعذيب كانت تتمثل في أن يأخذوا الإنسان إلى الهاوية، حتى يفقد وعيه فيتركونه ويواصلون مع آخر. كخرقة ممزقة، أو حبة برتقال منتهية الصلاحية وترمى. يتوقف الأمر أيضا على تقييم الإيماءات، والنظرات، والصمت. أو الكلمات. يقيّم المترجمون دائما إذا كان بإمكانهم الحصول على أكثر. إذا شردت منك أي كلمة يعذبونك أكثر، لأنهم دائما يريدون المزيد.

ـ واحد كان معي، وتوفي بعد أيام قليلة من خروجه من السجن، هو أكثر من تعرض للتعذيب. كلما عذبوه أخبرهم أمرا أو أعطاهم معلومات، وحينها يزيدون من تعذيبه.

يروي أن السيد كان ضعيفا. من يسمع ذلك، سيتساءل عن معنى القوة. هناك أشخاص يقاومون أكثر ويتحملون كل أنواع التعذيب وهناك آخرون لا يستطيعون ذلك. لكن كلما أخبرتهم بأشياء، زادوا من تعذيبك، لذلك حتى الأكثر ضعفا أنتهى بتحمل كل شيء.

ـ قال لي شرطي بشكل سري: «قل لصديقكم أن يتحمل قليلا، لأنه كلما فتح فاه يصرون على الحصول على المزيد...»، فقلت للزميل: «تحمل يا رجل، تحمل قليلا، أنت رجل أو دجاجة؟» فأجابني: «أنا لست رجلا.. لست رجلا».

لأحـمد

في 20 من يناير 1981 نقل سجناء وسجينات آكدز إلى قلعت امكَونة. هناك قام النظام بتوسيع حصن يعود للحقبة الفرنسية في مرتفع جبل تحاذيه مبان متتابعة ودهاليز. كانت الخطة تقضي بأن يصل عدد أكثر من السجناء، وسينقل معظم السجناء الصحراويين السريين إلى هناك. مزيد من الناس، مزيد من الحشد، مزيد من العزلة، ومضاعفة الحرص على أن لا تتسرب الأخبار. في أسفل المرتفع تزرع الورود وهناك مناظر خلابة.

كان التنقل امتدادا لرعب معسكرات الإبادة في صندوق شاحنة. الناس مرميون كالأكياس. خلال عملية النقل كان الضحايا مقيّدي الأيدي والأرجل ومعصوبي الأعين. بعضهن ظلت جراحها تنزف لمدة أربعة أشهر. في خضم عملية النقل قام عسكري بتفجير بطن أحمد سويلم ترفاس بركلة من رجله. مات في اليوم الثاني.

عشر سنوات بعد ذلك أُطلِق سراح السجناء. قبل ذلك بقليل، أقام السجناء حفلا، واحد منهم طالب بالمركز السري كجزء من التراب الوطني الصحراوي، لأنه انتُزِع برعب الباقين على قيد الحياة. إنه فتح من دون سلاح، أنجزته المقاومة في مواجهة الإدانة والحكم بالعجز.

حق تقرير المصير يجب أن يشمل بالإضافة إلى الصحراء الغربية مناطق آكدز وقلعت امكَونة، والشاحنة التي نقلت السجناء.





بناء عالم ضمن آخر

السجناء يبنون عالمهم داخل الجدران التي يعيشون بينها. جوّ له وقته ونظامه وعناقاته. الذين يقومون بكل شيء كان لديهم الوقت، الكثير من الاحتياج ويعملون في مجموعات. عالم مؤدب ومحترم. ليس جميلا أن تتواجد بالسجن، لكننا نحن تعلمنا الكثير من الأشياء التي خدمتنا في حياتنا هناك. لأن الأمر كان يتعلق بالأجيال، جيل يتعلم من الآخر.





الملحفة هي اللباس التقليدي للنساء الصحراويات. الملحفة تغطي الجسم والشعر. من الملاحف صنعت الخيام في اللجوء، عندما امتلأت الخيام الأخرى، والملاحف اشتعلت كمشاعل تحت قنابل النابالم في قصف 1976. بنفس الملاحف صنعت خيّم أخرى في اكديم إزيك في 2010، عندما منعت السلطات المغربية دخول الخيّم مع الناس حتى يضطر الناس للمغادرة. انتزاع الملحفة هو شكل من التعرية القسرية، خرق لخصوصيات المرأة. الملحفة تلف المولودين حديثا لتدفئة الحياة الناشئة. في مراكز الاعتقال السري استخدمت خيوط الملحفة للصق رسائل مكتوبة بأحرف من الألياف باللعاب (الريق) على عيدان لتتحدى منع الكلام. كما استخدمت الملحفة كمصفاة لما يحضرون من مأكولات، لتصفية المرق وتنظيفه من الحشرات والاحتقار الآتي مع الأكل. من قطع الملحفة صنعت النساء كمادات يتشاركنها لالتقاط الدماء الوحيدة غير الناجمة عن جروح. وفي الليل، تحول الملاحف دون كشف كيف ينزع النساء العصابات عن أعينهن. وبذلك كانت الملحفة خيمة للحماية من قسوة زمن الرعب.


نحن ثمانية

باولو افريْري، في قلعت امكونة

تقدم افريْري في بحوثه حول تعليم المقهورين ونشر الوعي في حقول البرازيل، وقلّب مفاهيم التعليم المصرفي رأسا على عقب، بينما كان السجناء في قلعة امكونة يطبقون أساليبه دون ان يعلموا بذلك. الواحد يعلم الآخر في مجتمع للتعلم.

كل شيء يتم بسرية، لأن السجانين فرضوا الصمت. في الحمام توجد قطعة صابون، وتفرك على الحائط لتترك طبقة كتب فيها بأنهم مجموعة من ثمانية أشخاص من مدينة الداخلة. ورغم أن الحمام لا باب له للتمكن من الكتابة على الجدران، لكن من يجلس هناك سيقرأ ما هو مكتوب. كما توجد قنينة تترك فيها الرسائل.

في المحن المشتركة يزداد الخيال حدة، لكن كذلك له مفاجئاته. أحدهم من مجموعة أخرى كتب على الحائط، لكنهم ظلوا خمسة أيام دون فك ما كتب. هي أرادت كتابة فرنسا لكنها كتبت «سيدرا» عصير التفاح. راجعوا الرسالة وقلبوها كلما ذهب أحدهم إلى الحمام، لكن لا حيلة في الأمر.



كان إبراهيم شاعرا وينخرط في الأنشطة الثقافية قبل أن يختطفوه في 1981 لمدة عشر سنوات، ولأنه متعاطف مع البوليساريو. أمضى ثلاثة أشهر من التعذيب العنيف، والعنيف هو الجزء الأصغر مما يؤلم عندما تستمع إلى تفاصيل الرعب. بعد سنة ونصف في معتقل سري نقلوه إلى معتقل آخر. شكل فرقة مسرح مع المجموعة الصغيرة المكونة من الثمانية المطحونين والمسحوقين الذين عاش معهم. وبما أنهم يمنعون عليهم الكلام، الكلمات ممنوعة، بدءوا يفكرون في الكتابة. لكن بماذا؟ لا يوجد ورق، ولاحبر. أعطاهم سجان قطعة من ورق مقوى من صندوق غير ذي فائدة. في قطعة الورق كان هناك مشبك حديدي صغير، وبذلك المشبك يمكن ثقب الورق. بتلك الطريقة علّم إبراهيم اللغة العربية لأناس كانوا لا يعرفون القراءة ولا الكتابة. كما تعلم هو شيئا من الفرنسية. وبه أيضا بدأ إبراهيم في كتابة مسرحية من ثلاثة مشاهد. المشهد الأول يسمى الوعي. الثاني، الكفاح. المشهد الثالث كان أمنية وشيئا سبق لهم تحقيقه، النصر. يقسم إبراهيم الأوراق بين الثمانية. وبما أنه لا يوجد الكثير من الورق المقوى لكثير من الخيال. بحثوا عن طرق أخرى. مثلا وضع دائرة على الذراع بقطعة الصابون المبللة وعندما تجف يكتب بالمشبك على الذراع، يقول لي، بينما كان يرينيه ويصنع المعجزة مرة أخرى. عندما تحسنت الوضعية بدءوا يكتبون في بقايا القهوة. أو بالصابون على قطع قماش صغيرة من الأسمال التي تحولت إليها ملابسهم بعد مرور السنوات. لكن، حين يتعلق الأمربتحدي المحرّمات، تصبح الكتابة والمحو على نفس الأهمية. عندما يأتي السجانون يزيح ماء الدلو كل الأدلة.

ـ بهذا الطريقة تغلبنا على الأمية.

في أحد الأيام جاءهم أربعون سجينا جددا، مثلهم كانوا مختفين. كانت مرت سنتان وهم الممثلون والجمهور. الآن أصبح لديهم جمهور كبير. وبذلك قاموا بالمسرح في مركز اعتقال سري يسمى قلعة امكَونة.



في المجمع رقم 6، بالقرب من خزان المياه، الجاثم دائما في مكان يرمز للعطش، بجانب الشلال الذي يفيض فيه الخزان، يوجد مكان وراف الظل. هو يجلس هناك دائما، للتفكير، للتخيّل، للحلم. أطلق الزملاء اسم زاوية المشاعر على المكان.

ـ ذلك يذهب الآن إلى زاوية المشاعر مرة أخرى.

حتى في الأماكن التي لا يوجد بها شيء، تلك المعدة للرعب أصلا، تستطيع المقاومة خلق فضاءات استجمام. يجلس عبد الله هناك لمدة ساعات. اعتقلوه عندما أصبحت له خطيبة، حيث لم يستطع بالكاد التعرف عليها. لذلك خلال بعض الأوقات والسويعات يخرج من قلعة امكَونة ويكون معها هي. لا نعرف تفاصيل أكثر، لأن المشاعر جو يلف كل شيء. الزاوية تستعيد ما هو ضائع.

انتبه الزملاء لذلك. في أحد الأيام كان المكان خاليا، رأى عبد الله واحدا يجلس، ثم آخر وآخر، أخذوا المكان كما لو كان لهم، وأصبحت الزاوية جماعية. كلما حاول أحد أن يتيه في عوالمه الأخرى، أو إهداء قبلة محرمة، كانت الزاوية هي مكان الممكن، وتمتلئ بواحد واحد. أو ربما تبقى الأحلام تحت الشلال، في انتظار نزلاء جدد.

التواصل عبر الجدار

في الأماكن الأكثر عزلة، تتكلم الجدران. السجناء يتبارون حول من يستطيع السمع أفضل. لا وجود لمنظمين أو لأدوات تدرج، لذلك تم الاختيار تدريجيا. بتلك الطريقة تسمع نشرات الأخبار عبر الجدار. كان للحراس مذياع لتمضية الوقت، لكن السجناء الصحراويين كانوا مهتمين أكثر بمعرفة ما يجري في العالم، لذلك كانوا يوزعون المهام. عندما يشغل الحراس المذياع، يُشْعل المتنصتون آذانهم، كل يوم يأتي الدور على واحد منهم. بعد ذلك تأتي عملية التعميم.

ـ في أحد الأيام كانوا يضعون الإذاعة الوطنية الإسبانية، تتحدث عن قصف طرابلس من قبل الأمريكيين. مع مرور الوقت وتراكم التجربة في امتصاص الموجات أصبحت مجموعة السجناء المهتمة بالأخبار جواسيس محترفون. ما لم أسمعه أنا من وراء ذلك الجدار، يسمعونه في الزنزانة الأخرى أو في الفناء الآخر. دائما لدينا الأخبار، وكل ما يقال كان مهما بالنسبة لنا.





مقلاع ورسائل

الجوع الذي يضغط على الخيال يفعل فعله. عندما بدأت التغذية تتحسن، يمكن قياس ذلك التحسن بأكل حبتي تمر. تحتوي التمرة على عظم. صنع عبد الله مقلاعا بمطاط أخذه من أحد الملابس وعود مسروق من الريح. يحاول، ويحاول وبدأ ينجح. فأصاب أحد الطيور التي كانت تأتي لشرب الماء. ثم أصاب العديد منها.

ـ ننزع ريشها، ونعرضها للشمس، ثم نأكلها.

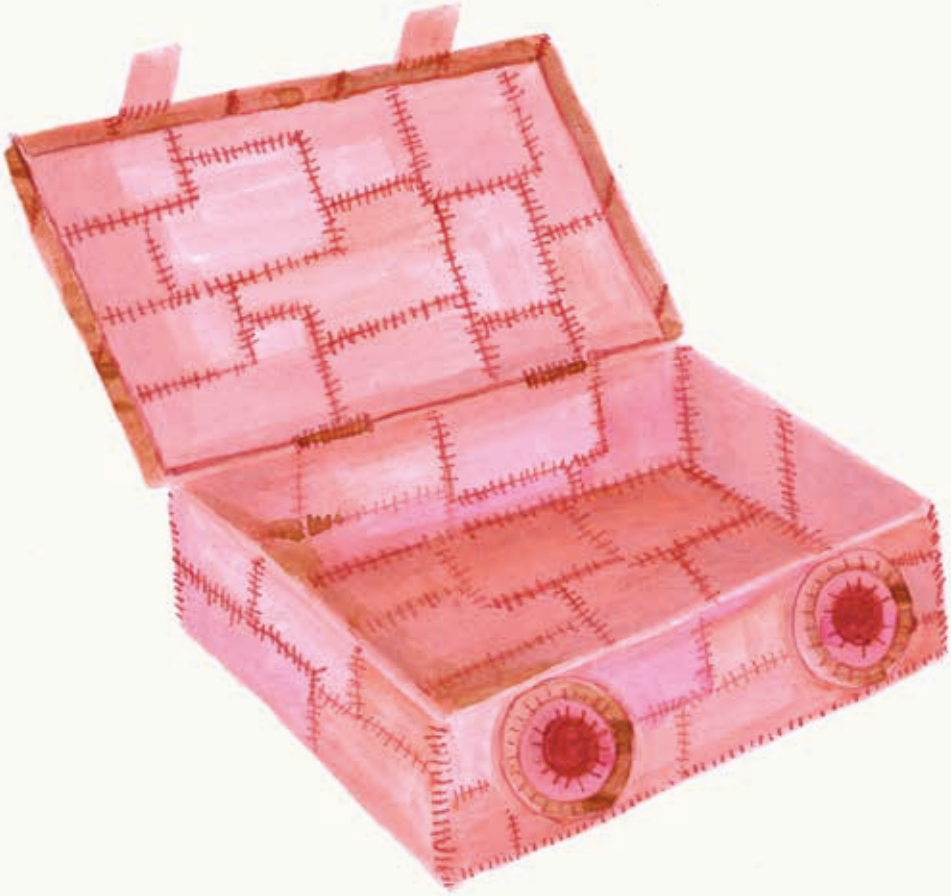
في أحد الأيام رآه الحارس، فأقام الدنيا. أخذه متلبسا، الطائر في يده. وبينما كان يخبر رؤساءه، صرخ عليه:

ـ لا تترك الطائر.

جاء المسؤول وبدأ التحقيق. أكل الطائر ليس سببا جيدا لتهمة في مركز اعتقال سري. ربما يبعثون برسائل إلى الخارج؟ هل سيكون مختصا في الحمام الزاجل؟ وسط التخبط، لا يعرف السجانون ما عليهم فعله ولا ماذا سيقولون. رغم أن السجين تذرع بأنه لا يملك ورقا ولا بماذا يكتب، وأن ما يقولونه سخيف، لكن ذلك لم ينجه منهم، هنا كل شيء سخيف. إذا يقومون بالمألوف. صفعتين، واغرب من هنا. صودرت المادة المشبوهة. لتبقى الطيور سعيدة.



عندما تحسنت التغذية قليلا، كانت تأتي حبات عدس في الماء. محمد أبو خالد كان أستاذا، لكن في المعتقل السري أصبح متدينا أكثر. طيلة أسبوع احتفظ بنصيبه من العدس. لم يفعل ذلك للقيام بدراسة حول البروتينات. وإنما لصناعة مسبحة. بفضل ذلك علمنا أن النصيب الأسبوعي من العدس هو 99 بذرة.



رجل الحقيبة

في حصص الرياضيات، الشاب المتميز الذي لم يذهب يوما للتعلم في مدرسة، كان يفهم عند أول شرح لمعادلات المستوى الثاني ثانوي. لكنه كان أفضل في الأشغال اليدوية. كان يحسن كل شيء. صناديق علب السردين الفارغة التي يحصلون على واحد منها أسبوعيا، إذ يحصلون على الكرتون غير المفيد. تقوم مجموعة من السجناء بمراكمتها. الآخرون يسمنوهم الأغنياء.

بصناديق الكرتون تلك، صنع علي الخياط الذي يعرف المقاييس، صنع حقيبة وغلفها بقطع قماش. كان الآخرون يرونه يكشط الحائط يوما بعد يوم بقطعة خشب صغيرة. لم يكن يحاول صنع نفق ولا كسر الجدار. كان يصنع أسطوانات دائرية من الخشب بشقوق مختلفة.

ـ بعد ذلك يأخذ سلك حديديا ويجمعها به واحدة واحدة، واضعا الأسطوانات الخشبية في وضعيات مختلفة 5، 4، 3. مثل القفل الذي يفتح بشفرة، بشيء من البلاستيك وأغطية الزجاجات يضع تركيبة ستشكل الشفرة.

عندما رآه بقية السجناء لم يصدقوا أعينهم. ولا أنا الآن بعد أن شرحوا لي. السجين الخياط، عالم الرياضيات يقول لك اكتب الرقم كذا وستنفتح المعجزة. في أحد الأيام، جاء الحارس لبعثرة أغراضه، تلك المهمة التي يقومون بها كل أسبوع لقهر المقاومة.

ـ حاول فتح الحقيبة ولم يستطع. كيف تفتح؟ ويجيب السجين: اكتب الرقم كذا. قهقه الحارس ضاحكا، سجين ماذا سيعرف. رآها النقيب وأخذها. قال، هذه سأعيدها إليك غدا.

ولم يعدها. وكانت الحقيبة محتوى تقرير رسمي، من ذلك النوع الذي يرفعونه إلى رؤسائهم، رغم أن الرئيس الحقيقي يقبع في زنزانة منذ سنوات. لا نعلم إلى أين وصلت، لكن السجين خياط التكنولوجيا المتطورة، الذكي جدا، يوجد هنا. سيشارك هذا المساء في اعتصام سلمي من أجل حقوق الإنسان. لا يخطئ أبدا في أي تركيبة لهذه السنوات أو الأشهر أو الأيام.



كان فصل الشتاء، وكانت الثلوج تتساقط. يعطون للسجناء بعض الملابس القديمة، أحيانا، عندما تأتي هبات من الولايات المتحدة الأمريكية. كان من نصيبه معطفا طويلا اهترأ مع الوقت.

ـ كانت فيه مائتي رقعة، يقول عبد الله بنظرته الدقيقة.

مع الوقت أسمينا المعطف «المتسول». كان دافئ جدا وصارت له سمعة كبيرة بين سجناء المجمع رقم 6. عندما يعاني أحدهم من البرد الشديد أو يقع مريضا، يتكفل المتسول بالعناية به. في ذلك اليوم كان البرد شديدا. كان هناك سجين واحد في الجزء الآخر من الزنزانة، ولا أحد يعرف من هو، ولا أحد استطاع التكلم معه. كان مقيد الرجلين، يخرجونه إلى الحمام. بعض الأحيان يسمحون له بدقائق قليلة للتمشي مقيدا، ويعيدونه إلى الزنزانة.

في الوقت الذي يكون فيه الحارس خارج موقعه، لا تمكن رؤية الباب، إذا تلك هي الفرصة. إذا عاد الحارس إلى موقعه، فالإشارة ستكون هي وضع القبعة. لذا تجب العودة بسرعة حتى لا يثار الانتباه.

خرج واقترب من الزنزانة، طرق الباب وكلمه بلهجة عرب المشرق. كان عبد الله خائفا. ينظر إلى القبعة. يستمع إلى السجين. ويحاول أن يكلمه.

ـ قال لي أنا لبناني، أنا هنا منذ 1973.

عندما قال له 1973، ترك عبد الله النظر إليه، لم تبق ذاكرته هناك. في العام 1973 كان عبد الله طفلا وكان يلعب أمام بيته. كيف يمكن أن يبقى هذا الشخص كل هذه السنين في سجن سري؟

ـ قال، وأنتم، من أين أنتم؟ نحن من الصحراء، من الصحراء الغربية. سألني: الصحراء الإسبانية؟ نعم، نعم.

وبينما كان عبد الله يشرح له الغزو المغربي، ظهرت الإشارة وخرج مسرعا. إلى الآن، كلما تحدث عنه، يلف الأسى ذكرياته. كان يريد أخذ المتسول معه عندما أفرج عنهم في 1991، لكن إخراج ما يدلل على المقاومة كان ممنوعا.



في 2005، جزء كبير من السكان الصحراويين الخاضعين للاحتلال العسكري خلعوا عنهم الخوف وبدءوا في استعمال الانترنيت للاتصال مع عالم كانوا معزولين عنه. خرج الشباب إلى الشارع للتظاهر ضد الحكم الذاتي الذي أخرجه النظام المغربي من جلبابه في محاولة لإزاحة قرارات الأمم المتحدة التي تعترف بحق تقرير المصير عن الطاولة. قبل ذلك بقليل كانت عائلات المختفين في مدينة السمارة قد بدأت في التحرك ورفعت طلباتها إلى السلطات المغربية. في أحد الأيام عاد اثنان من أولئك الشبان الباحثون عن آبائهم إلى العيون في الساعة 8 ليلا. مثلما هو الحال دائما كلما تنقلت في تلك الطرق الهادئة توجد نقاط مراقبة في كل وقت. في مدخل السمارة، انتزعوا منهم كل ما يحملون من وثائق، أوراق اجتماعاتهم، ملفات حول قضايا. ثلاث ساعات من التحقيق والتفتيش، أمروهم بالانصراف دون وثائقهم. لكن الوثائق أتت معهم وستخرج معهم، لذلك رفضوا. فقام الدركي الذي كان ينفذ التعليمات، وأخذ دفترا وباشر في النقل. لم تكن هناك آلة نسخ، لذا كان عليه النسخ يديويا. على الساعة 4 صباحا، بعدما مر الوقت بطيئا مثل أحرف الدفتر، جاء وقت تغيير مناوبة الحراسة وحرر الضابط الجديد الوثائق من الترجي والشبان من رؤيته.

عندما ذهبوا لرفع شكوى في المحاكم قالوا لهم بأنه كان خطأ.

228 جمل و221 رسالة

و150 رأس غنم. ابشيرنا العروسي كان راعي إبل. كانت عائلته عائلة غنية من رحل الصحراء الغربية. الجمل هو الحياة في أرض مثل تلك الصحاري. يحملك، تحمل عليه الأثقال، يرافقك، يحميك من البرد ومن النسيان عندما لا توجد طرق. الجمل لا ينسى. اعتقل ابشيرنا وأمه واختفيا. هو لمدة شهر. هي لمدة ستة. عندما استعاد أنفاسه، ذهب ابشيرنا للمطالبة بإبله. وسط الرعب، عندما كان كل الناس يهربون من السلطات المغربية. ذهب هو لملاقاتهم مسلحا بالشجاعة وبالقناعة بالحق، بجرأة ساذجة تتناسب مع الحرب: لم أفعل شيئا، أعيدولي ما هو لي.

كان النهب خلال تلك السنوات ممارسة معتادة ضد الصحراويين، وطريقة لمركزة السكان في المدن. كل الحروب ضد الناس تبحث عن طريقة للتجميع لأن التدمير وحده لا يكفي، تجب المراقبة. أصبحت الصحاري فارغة بسبب ملاحقة كل ما هو حي.

228 جمل شيء كثير، واحد لكل رسالة. المرة الأولى التي طالب فيها كانت في 21 فبراير 1978. وكانت الأخيرة في 27 من ديسمبر 2008. 30 سنة يكتب في ممارسة لأسلوب فريد من مقاومة الاحتقار. وجهت الرسائل لـ 27 جهة مختلفة من السلطات، ملوك، وزراء، ولاة مغاربة، والجواب دائما هو الصمت. إضافة إلى الرسائل، زار، تكلم، ودق أبواب المكاتب وذوي الزي الرسمي. وبسبب اللامبالاة وحيرتهم من جرأته وصلوا معه حتى التهديد: «الأفضل أن تختفي إذا كنت لا ترغب في المشاكل». لكن حان وقت البيروقراطية، وهنا بين يديه جاء جواب. هيئة الإنصاف والمصالحة في رسالتها 924 من الورقة 480 المؤرخة في 09/08/2008 تشير إلى أنها غير مؤهلة للنظر في القضية، لأن مأموريتها تنحصر في الاختفاء القسري والاعتقالات التعسفية. وتقول كذلك بأن ابشيرنا ترك جماله وأغنامه، ونقل من قبل الجيش الملكي.

يبدو أن الحقيقة لم تكن جزءا من مأمورية الهيئة.





جزء من الرعب هو أن لا يحدث شيء. البقاء على قيد الحياة هو الموضوع اليومي الوحيد بيد أنه لا يمكن الحديث عن ذلك. لكن في صدر كل واحد منا الكثير من الروايات التي قد يتحدث عنها. لذا إذا لم تكن هناك حياة في الخارج علينا أن نواصل في حياة الداخل، وتحويلها إلى جو وإلى مناظر.

ـ نقوم بتنظيم أنفسنا من أجل أن يروي كل واحد منا حياته للآخرين.

لكن طبعا، بعد مرور سنة، تبدأ في سماع الإعادة، مثل الجد الذي يروي قصصه وأحاديثه لأحفاده: لا، لا يا رجل، سبق أن قصصت علينا هذا.

لذلك بعد أن أعيدت الإعادة، قرر السجناء خلق محكمة وأسموها «كرسي الحقيقة». يأتي الدور أسبوعيا على واحد والآخرين يسألونه. كانت الأسئلة تدور على الخصوص، حول مسائل شخصية جدا. حدثنا عن مغامراتك العاطفية، هل تبولت في الفراش؟ هل سرقت نقودا من أمك؟ إذا كذبت أو رفضت الإجابة، كانوا يعاقبونك بالامتناع عن الكلام معك لمدة ثلاث ساعات، أو تحرم من طرح الأسئلة.

ـ تصور عشرة أشخاص بقصفونك بوابل من الأسئلة التي لا تخطر على خيال، أسئلة بلا حدود. كان مسلي جدا.

لكن المحكمة انتهت بمعرفة كل شيء. لذلك جاء وقت «القصص الخيالي». يطلق كل واحد العنان لخياله ويبتكر قصة قد تطول لمدة ساعات، رواية بأشخاصها، بنصها وبكل شيء. إضافة إلى أنه يجب تحضيرها. لا يتعلق الأمر بمسابقة، لكن كانت هناك قصص استمرت لمدة يومين. الأدب الشفهي ترياق مضاد للزمن المسموم.

الوحدة لا تؤنس. بينما يمر الوقت ويسيطر الانتظار، عليك أن تعمل على أن لا تفقد توازنك. ما يعيد إلينا الكرامة مرات عديدة يبدأ من أشياء بسيطة، من اليدين. أتوجد خيوط، لا، ليست موجودة لكنه تحصّل على مقص وإبرة. أمه لم تكن تعلم أنه يعرف الخياطة. وهو كذلك، لكنه تعلم بالعودة إلى ذكريات الطفولة وإلى محاولة التخبط بالأصابع.

يدفعك الزمن أحيانا إلى إعادة البحث فيه كصندوق، تُخرج منه كل شيء باستعجال حتى تجد ما هو مهم. لماذا أنت هنا. كان إنريك يعلم أن اختطافه ترك صدمة كبيرة في المخيمات وأن هناك الكثير من الصحراويين المهتمين لأمره ويصلون من أجل إطلاق سراحه. يعرف ذلك لأنه يعرفه. عندما بدأ يعجز عن التحمل قرر التخندق في قناعاته، وبحث عن كنزه في القضية الصحراوية. لذلك حتى وإن لم تكن هناك جدران تُطبق عليه هذه المرة، قرر حياكة عَلَمه الخاص. وجعله له.

وضع مخططا. الألوان أولا: أسود، أبيض، أخضر وأحمر. قطعة خضراء من اللثام. خرقة سوداء من بنطلون «سروال» جينز. توجد قطعة من القماش الأبيض على الأرض لكن لا يوجد اللون الأحمر في أي مكان، رغم أن كيس التمر كان لونه بنفسجي.

ـ بدأت في الخياطة.

ثلاث مساءات مكث الزمن. المجاهدون ينظرون باستغراب إلى جنون إنريك لكن حين رأوا عمله حاولوا انتزاعه منه لأنه لا يوجد سوى علم واحد حسب اعتقادهم الذي يجعلهم اليد المنتقمة لإله رحيم لم يأذن لهم بالأمر. في غضون ذلك، بقي العلم مخزّنا حتى جاء القادة، لكن بدا أن الرب كان أكثر موافقة على النسيان. مطوي بعناية شديدة عاد مع إنريك من عذاباته إلى حياته الجديدة. إلى تلك التي تبدأ من جديد بالنسبة للثلاثة. كان العلم الصحراوي هو هديته إلى كارليس. شقيقه الذي اتخذ من قضيته في تلك الأشهر التسعة حياة له. أي مكان أفضل من ذلك الجدار الآخر لذلك العلم الآخر. أنا لا تعجبني الأعلام، لكن هذا فيه شيء يشكل جزءا منا نحن.



إنريك، زار مخيمات اللاجئين الصحراويين في 2004. في هذه الزيارة الأولى كان عليه أن يلامس كنه الأشياء التي تؤلمنا، وحين ودّعوه أهدوه علما للجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية. رافقه ذلك العلم في كل جدار مكث فيه، وسافر معه إلى الأماكن التي كان عليه أن يعيش فيها. العلَم الذي من أجله اعتقل الكثيرون في الصحراء، والذي شكل مرات عديدة جزءا من الاستنطاق تحت التعذيب، من خاط الأعلام؟ الجدار الأخير كان غرفته في مخيمات اللاجئين أين عاد للعمل من جديد.

هو واثنان من المتعاونين اختطفا تلك الليلة عندما قام رجال مسلحون بالزناد السهل للبحث عن لحم طازج للبيع. اخترقت رصاصة رجله، عندما كانوا يسافرون في البراري هاربين في تلك الأيام الطويلة كالصحاري. بعد ثلاثة أشهر، فُصِلت النساء عن الرجال، دون معرفة هل السبب هو فصل الجنسين أو لأسباب عملياتية تدفع إلى توزيع الخطر في الوقت الذي تتضاعف المعاناة.



كانت أمينتو في حالة من الضعف تحول دون إخراجها إلى الشارع في ذلك الوقت الذي تم فيه اتخاذ القرار. لذلك نقلوها إلى المستشفى أملا بأن تتحسن صحتها وعلى الخصوص مظهرها. بقي القليل، أربعة عشر يوما فقط قبل اليوم الذي سيعترف فيه النظام المغربي بالمختفين في المراكز السرية وسيُفرِج عنهم، رغم أنه لا علم لأحد بذلك.

أخرج ممرض صحراوي الخبر في صمت. همس خافت يصل إلى العائلة. أمينتو على قيد الحياة وهي هنا. لقد اعتقلت قبل أربع سنوات واختفت مع أشخاص آخرين كثر، كانوا يحاولون القيام بمظاهرات أمام بعثة الأمم المتحدة من أجل تحضير الاستفتاء. قضت كل تلك المدة في مركز اعتقال سري، على مسافة شارعين اثنين من المكان الذي كانت تلعب فيه أيام طفولتها. الاختفاء ثقب أسود يبتلع كل شيء.

في إحدى الليالي جاءت أمها خفية وطلبت من الشرطة أن تسمح لها بالدخول. والشرطة تجاوبت خفية كذلك وتجاوزت إجراءات ما هو محرم.

فظيع، هي الكلمة التي كانت تخرج من فمها، رغم أنها حينها لم تقل شيئا. عندما يكون هناك الكثير من الأشياء لتقال، لا يوجد ما هو أبلغ من الدموع والقبل. بكاء وبكاء، حان الوقت. دقائق وانتهى الوقت. بذلك ودعتها من بين أصابعها. واحدة للأخرى.

قضت أمينتو الليل دون أن تنام. مستحيل بعد ذلك الحضور الذي هو من جديد حبل سري يربطها بالحياة، مثلما ربطتها الذكريات والوعي قبل ذلك. بعد ذلك تحالف السهر ورائحة أمها بين يديها. ورغم أن الوقت انتهى، فقد قضت الليل معها.



الأكثر ضعفا

الليلي فقد توازنه. منذ اعتقاله يناديه الحراس بالمجنون. كذلك كانت أمه معتقلة في نفس المركز. بعد أشهر من الإصرار على رؤيته قدموا لها تنازلا. تعالي لتريْ ابنك المجنون. الليلي لم يتعرف إليها. كانت تعانقه وتقبله، بينما بقي هو ينظر إليها فقط. كانت تقول له: «أنا أمك، أنت ابني واسمك فلان بن فلان، أتتذكر عندما كنتَ صغيرا، كنت تلعب معي...؟» بعد نصف ساعة من الصمت، أجاب: «الآن نعم، تأكدت من أنك أمي».

لكنه كان غائبا. نقلوه إلى زنزانة شقيقه. أحيانا تمر خمسة أيام دون أن يتحرك من مكانه، كان يتبول دون أن يشعر. بعد الإفراج عنه في 1991، قامت السلطات نفسها بإدخاله إلى المستشفى في مدينة سلا قرب الرباط. بدأ يتكلم من جديد، يسأل، حتى جاء يوم اختفى فيه. أشعِرت العائلة بوجود جثمان في الشاطئ. والأقارب عثروا على ملابس شقيقهم بين الرمال. الملابس في مكان والجثة في مكان آخر. عندما ذهبوا للبحث عنه في مستودع الجثث، أخبروهم أنه لا يوجد أحد بهذا الاسم هناك. طلبوا رؤية جميع الجثث. قالوا بأنه يوجد فقط جثمان لشيخ واحد اسمه عمر وهو من مدينة الصويرة. أصروا ثم أصروا، فسمحوا لهم برويته.

ـ ذلك السيد كان أخي. أعطوه اسما آخر، وعمرا آخر، ومدينة أخرى للإقامة. رفض النائب العام القيام بأي تحقيق متذرعا بأنه مات غرقا في البحر. طالبنا بالتحقيق في كيفية تنقل هذا الشخص المريض من العيون حتى الشاطئ، 25 كيلومتر، في زمن وجيز. اكتشفوا أن ثيابه كانت ممزقة، وتحتوي ملابسه الداخلية على الجير، وتوجد آثار على رقبته.

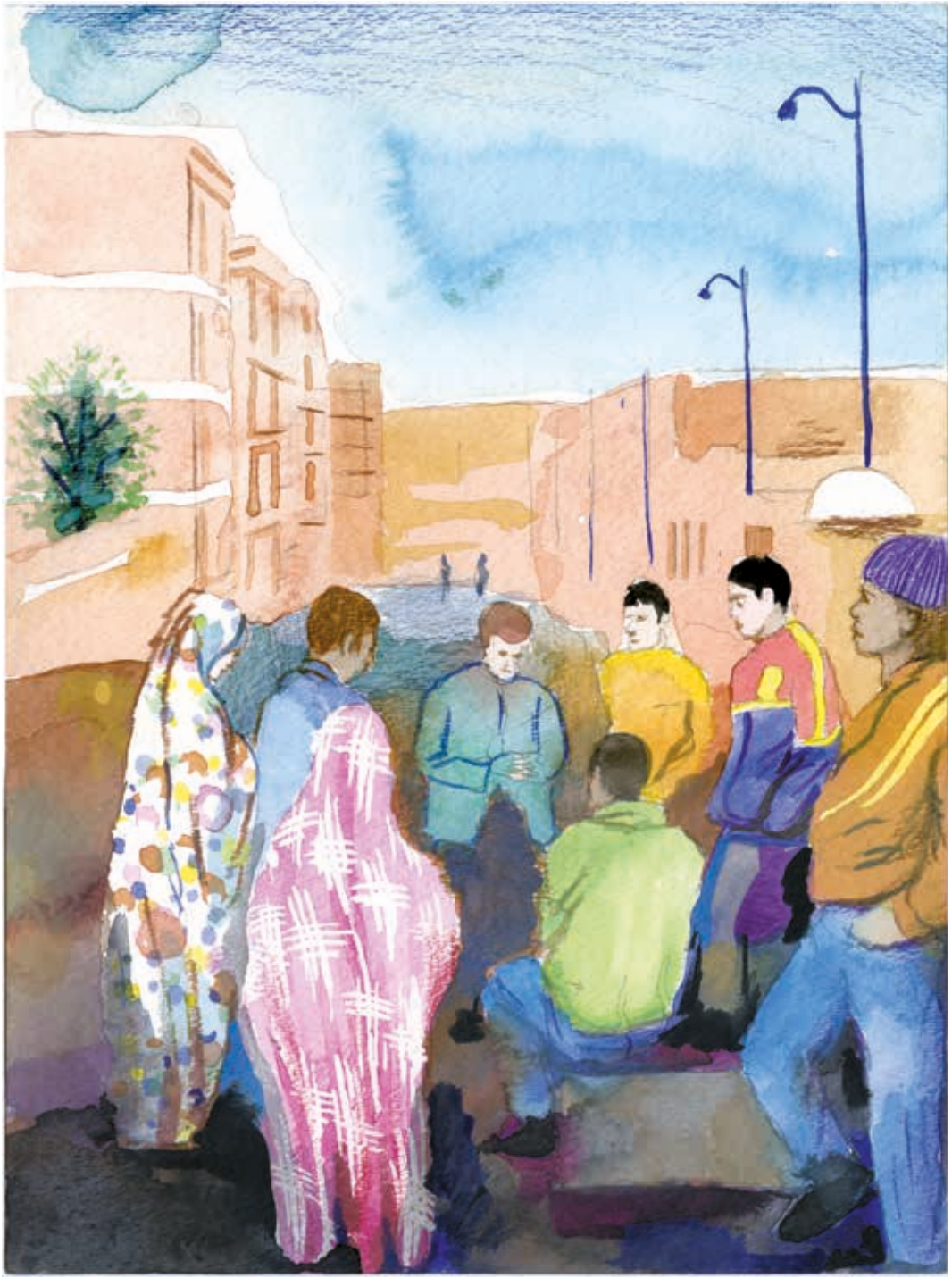
كان هناك شيء مختلف. لم تمر الأعوام فقط، وإنما الصحراء تغيرت. منذ الأيام التي اعتقل فيها عندما وصل الاحتلال، إلى التي خرج فيها من السجن السري مرت 11 سنة. يظن الواحد منا أن التغييرات تتمثل في العسكرة، أو في مرور السنين أي ما نسميه التقدم في العمر، لكن لا.

ـ شعرت به في الجدران، في الألوان، في اللهجة في الشارع، في السكان، في العائلة. الجميع يخافونك عندما تذهب لزيارة أحدهم، تشعر بأنها زيارة غير مرغوب فيها، الكل يخشى أن يطلب للاستجواب.

التغيير يتعلق بشعورك بأنك غريب في أرضك وداخل مجتمعك وعائلتك، عندما يدير لك الأصدقاء بظهورهم. ليس ذلك هو عالمك، الذي ترعرعت فيه. هناك طريقة للشعور بأنك غريب في عالم كان، وأخرى في ما اختفى من العالم الذي كنت تحب.

ثم هناك التغيير داخلك أنت نفسك

ـ كنتُ شخصا اجتماعيا، ولديّ أصدقاء كثر. بعد ذلك أصبحوا يرونني وكأني شخص مصاب بمرض معد. أتساءل لماذا ينظرون إليّ هكذا، لماذا يعاملونني هكذا؟ وأنا لم آت بأي فعل مشين، كل الذي أطالب به عادل وشرعي، لماذا ليسوا في جانبي. تنتابك تساؤلات كثيرة وتشعر بشكوك لست بقادر على تبديدها. مرات عديدة تشعر بأنك لا تدري ما الذي عليك فعله. كانت مرحلة صعبة جدا وهي كذلك بالنسبة لأي إنسان. كنت مراقب دائما. أعيش مع أمي. في الزمن الصعب تتمسك باليقينيات. كانت الشخص الوحيد الذي يستطيع تحملي.





مجموعة شباب أرّقها التعب فقررت الهرب. ليس يوما جيدا، لأنه كان يوم 20 يونيو وكانت الحرارة جد مرتفعة لاجتياز الصحاري. يجب اجتياز الجدار الرملي وهو بعيد. يجب الخروج إلى جهة أخرى حتى لا يشك أحد، والعودة في منعطف الطريق للسير في الاتجاه. لا يوجد ماء، لكن هناك خيّم يمكن اللجوء إليها لطلب الماء، على أن لا نخبرهم بشيء. مواصلة الطريق. كان الليل. ها هو الجدار. هناك ألغام ومخافر عسكرية. لا يمكنك السير في وطنك. اجتياز الجدار ممنوع، دون توضيح الدواعي لذلك. المينورصو متواجدة منذ سنتين وتراقب وقف إطلاق النار. يسرع الشباب عندما يرون الجنود المغاربة، يركضون دون معرفة السبب، إنه الليل. بم ـ بام. لا أحد يعرف أين بقي الآخر. اعتقِلت مريم لحمادي مع شاب آخر بقي تائها. ثلاثة تمكنوا من الهرب إلى الجهة الأخرى من الجدار، يركضون ويركضون حتى شعروا بأنهم أحرارا. فاطمة لم تستطع. أطلق سراح مريم بعد ستة أشهر، ومازالت تهمتها غير معلومة. المجرمون الذين اعتقلوها ضربوها وضربوها بعد ذلك، لديهم عنوان واحد معروف: اعتقال تعسفي وتعذيب. ولديهم آخر يستمر حتى أيامنا هذه في حالة فاطمة: الاختفاء القسري.

ثمانية عشرة سنة بعد ذلك وما تزال مريم حزينة. طالبوا السلطات خلال سنوات عديدة، لكن قالوا لهم بأن فاطمة فرت. في ديسمبر 2010 ظهر اسم فاطمة في لوائح الأشخاص الذين تعتبرهم الدولة موتى، «حسب قرائنهم ماتت في فترة الاعتقال». الحق في معرفة الحقيقة والحق في الحزن جزء من حقوق الإنسان التي يواصلون انتهاكها، لأن الجريمة مستمرة.



المدرسة العمومية هي مكان للتكوين لكن الجغرافيا مغربية، النشيد الذي عليك ترديده كذلك، والتعبير عن أفكار تقرير المصير أو التأكيد على الهوية الذاتية قد يكون سببا للطرد. هناك شباب إناثا وذكورا يبقون هكذا متروكين لتطورهم الذاتي. اعتقلت فدّح في 1993، لأنها شاركت في مظاهرة سلمية. ظلت ستة أشهر مختفية مكسورة الظهر. بعد الإفراج عنها أرادت استئناف دراستها، رغم الخوف والآلام التي ما تزال تعاني منها. الإدارة تقول بأنه لا يمكنها قبولها، عليها أن تخاطب مندوبية التعليم. المندوبية تطلب منها أن تتوجه إلى حكومة الولاية. هناك وزارة الداخلية وليست وزارة التعليم.

ـ في ذلك الوقت فهمتُ أنني لن أذهب من جديد إلى المدرسة. أردت الاندماج في المجتمع لكن لم تكن لدي إمكانيات للتسجيل في مدارس خاصة.

لذلك عادت لمخاطبة المدرسة للحصول على شهادة تمدرس. كانت الشهادة تحمل نقاطا من أيام فترة اختفائها وسجلها المدرسي كان يشير إلى رسوب في مواد أو امتحانات لم تتمكن من التقدم إليها أصلا. اليد التي تلاعبت بالنقاط والمعدلات استخدمت جدولا لا يستخدم في المدرسة. لا داعي لفحص البصمات لمعرفة من ارتكب ذلك الجرم.



المشاعر هي آخر ما يمكن أن يُسرق. دون ذلك فقدان العقل، قبل ذلك يتحطم الجسد أو تفقد الصحة. لكن المشاعر تحمينا دائما، حتى في الأوقات التي يستخدم فيها الألم لتحطيم الأنا الشخصي. لكنها حبة بصل ذات قشور كثيرة عندما يضغط الألم خلال عقود. بازيد رأى أباه بعد 30 سنة والعديد من الإدانات في السجن، في مخيمات اللاجئين في تندوف مجددا عبر الزيارات التي تنظمها مفوضية غوث اللاجئين في 2006. عندما يكون التشريد ليس من أرضك أو عن وطنك فقط، وإنما عن ابنك أو أمك، لا توجد كلمات لوصف ذلك. في الصحراء الغربية تلك تجربة عادية. في لقاءات أخرى مكررة، انفجرت عائلات حرمت اللقاء، والاستماع ومعرفة أخبار بعضها لعقود، انفجرت بكاء وتعانق أفرادها. وماذا؟ آخرون قفزوا من الفرح، ولم يستطيعوا غير قول: لا يوصف. جاء بازيد بعد 30 سنة لخسمة أيام فقط، لكن لكثرة من كان عليه أن يزورهم، بقي معي ساعة واحدة فقط.

كل إخوته انفجروا باكين عندما رأوا أباهم. إلا هو، لم يبك. أباه الذي يعرف كل ما يساعد على تخطي متاهات قساوة الحرب ومقاومة اللجوء، قال:

ـ لقد انتزع المغاربة الحنان من ابني، إنه لا يبكي.

رغم أن بازيد يعرف أن لا أحد انتزع منه أكثر شيء يملكه، كان يريد البرهنة له على أنه ما عاد طفلا، رغم أنه لم يقل له بأنه رجل ينجز حلما. كان أبوه يريد البقاء معه، أن لا يعود لخطر الرجوع إلى السجن والمحاكم من جديد.

لم يجد أي واحد منهما الوقت لإثبات أن الجنود لم يمتلكوا سلطة تلك الدقائق القليلة وأنهم لم يستطيعوا سرقتها.





أكديم إزيك

خيمة تستدعي الأخرى. بدأت عشرة أو اثنتا عشرة. إنهم أناس يطالبون بحقهم في السكن. صحراويون مهمشون في أرضهم. الحقوق الاقتصادية والاجتماعية هي تعبير من يسموْن مدنيين وسياسيين، رغم أنهم بشر فقط، مثل ما هي الهوية. الاحتجاجات هذه المرة ليست في الشارع، حيث يسهل نصب كمائن لهم أو اتهامهم بعرقلة السير. هذه المرة في البراري، على مسافة 15 كيلومتر من العيون. قليلا قليلا، وفي زوبعة زمنية، أصبحت الخيام آلافا. 20.000 شخص إنه اكثر من 10% من السكان الصحراويين. بعضها صنع من الملاحف، لأن الجنود المغاربة حاصروا المخيم ومنعوا دخول الخيّم. استضاف المخيم عمال فوسفات بوكراع، وشبابا عاطلين، إضافة إلى نساء مطلقات بدون حقوق. وكذلك سجناء سياسيون سابقون. أو أناس بسطاء يريدون التلاقي في فضاء يشعرون فيه بالاعتراف المتبادل وبأنهم متساوون.

ـ هناك، شعرت بأني حر لأول مرة في حياتي ـ يقول يدّاسي.

المريض، الذي كان يهتم بالناس المصابين بالإسهال أو آلام في المخيم، في مستوصف مرتجل، انتهى به الحال مكسور الرجل، لكنه يحتفظ بأجمل الذكريات عن تلك الأيام، قبل أن تقرر السلطات المغربية إنهاء تلك التجربة. بعد ذلك جاء العنف والغضب والخوف. الموت والتعذيب والتعسف المقنع بالمحاكمات. لكن الناس يحتفظون بذكريات أخرى: يبدو مستحيلا، لكننا فعلناه.



con 19 años, es detenido
4 DIAS VENDADO Y ATADO

ما بعد اكديم إزيك

قنينة زجاجية، لتر واحد، باردة. تخييم، مكان ليلي في صحراء خالية. سيارة بأضوائها أمامك. جسم عار ومقيد، جسمك. ضربات. ماء بارد. هناك يحفرون قبرا، هكذا يقولون، هذا ما يُسمع. سترى الآن.

ـ لن تبقى رجلا ـ قال الآمر.

وصمة الاغتصاب تحيك الصمت كذلك في القصص بين الرجال. الاغتصاب يترك جراحا تلتئم، وندوبا تحتاج إلى الاعتراف بها وآلام ترفض الاختفاء.

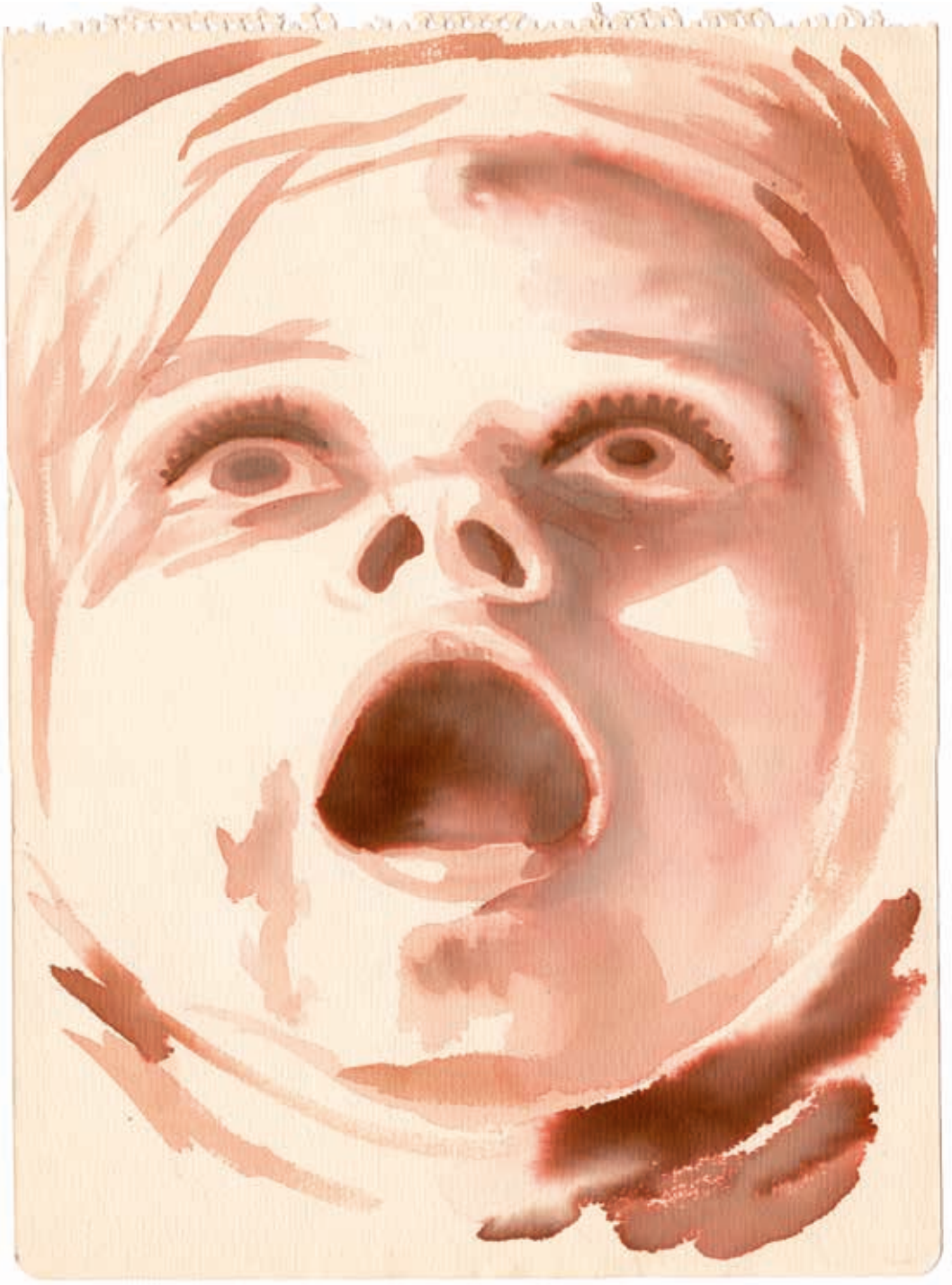
ـ من كل ما حدث، كان ذلك أكثر ما يؤلمني.



SAID DAMBAR

بقي سعيد دمبر سنة ونصف السنة في ثلاجة. أطلق عليه شرطي النار وأصابته رصاصة في الجبين، طالبت العائلة برؤيته في المستشفى. وأن يجرى له تشريح بعد ذلك. كان ذلك المساء، ذاهبا لمشاهدة مباراة كرة قدم مع صديق. الشرطة ادعت أن المسدس انطلق حين كان صاحبه ينظفه. لاحقا، نكروا كل شيء. في برودة المشرحة، يمر الوقت هناك في الخارج، ينما تواصل العائلة كفاحها وتعاند. لا تبدو المطالبة بإجراء تشريح بعد موت عنيف، مطالبة ثورية. لكن بالنسبة للدولة المغربية، ذلك تمرد وتخريب في الصحراء.

بينما تعانقه العائلة في أحلامها، يظل هو ممددا في 20 درجة تحت الصفر . في إحدى الليالي، وفي سرية، تم الدفن في غياب العائلة. الحقيقة، لا يمكن معرفتها، ووجود الشهود مستحيل.



الضمادة، الطائرة المعلقة إلى قضيب حديدي، المنع من النوم، الارتكاز على الركبتين أمام الحائط. ضربات كلما مر أحدهم. وقّعْ هنا. حارس يقول بأنه لا يعرف ما كتب هناك ويحاول تشجيعي لأنه هو لا يقدر على فعل شيء: كان الله في عونك. زنزانة من اثني عشر مترا تضم ثمانين معتقلا. القاضي يشير إلى جريدة 1 اتهامات: تنظيم عصابات إجرام، تخريب ممتلكات خاصة، قتل، وأخرى كثيرة. أقول له عذبوني، أريده أن ينظر إلى وجهي، أريه ظهري، أقول له بأنهم اغتصبوني. الدخول إلى السجن، أين يكون الاستقبال هو صف من الهراوات التي تنتظرك. مصطفى الـ «بيتبول» له اسم وممارسة مفترس. لا أعرف أحدا في الزنزانة، عندما أذكر اسمي لا أحد يعرفني. أنام قليلا. إلى الشاحنة من جديد وإلى المخفر. هجروا الكلام معي، معلق يضربونني حتى أفقد القدرة على الشعور بالألم. يأخذونني إلى حيث أصدقائي، عبد الله مسؤول الأمن في اكديم إزيك وزعيم المخيم عبد الجليل. عبد الله لا يتكلم، فقط يكرر الله، الله. عبد الجليل يهمس من الألم. مرة أخرى معلق، أسئلة من جديد، علاقات، جزرالكناري، أقارب في المخيمات. هذا ليس العام 1976. نحن في العام 2010. اسمي اندور.

عندما نقيم ورشة عمل لتدريب المدافعين عن حقوق الإنسان حول العمل على الشهادات، يومئ هو برأسه وجسمه. نتكلم عن العمل مع الضحايا، نتكلم عن جمع الأدلة. ونتحدث عن الضيافة وعن الموضوعية، وعن الثقة والأصالة والحقيقة. في اليوم الموالي، بدأنا ببعض المقابلات، وصل بعض الضحايا حاملين قصصهم وحياتهم. الرابع الذي أُجري معه مقابلة في هذا اليوم الطويل كان هو. يروي القصة التي عاش بما في ذلك تلك التفاصيل التي لا يريد أن يتذكر. وأنا أحاول أن أمارس، وأن أكون في مستوى ما كان علي أن أعلم في الأمس.



فهم صدمة التعذيب. إنها مختلفة هنا عن كل قصص وتجارب ضحايا التعذيب في كثير من الديكتاتوريات والحروب. فهم الاختلاف ليس ملكة فكرية، إنها طريقة للمرور نحو الألم والصدمة وتشارك الثقة. كان هناك وقت نتناقش فيه إذا كان التوثيق يجعل الجلادين أكثر تطورا، لكن الصمت سلاح عظيم، والتوثيق مع الناس يساعد على إظهار ما كان يراد إخفاؤه.

رواية الضحية تظل زعما، ننظر إليها بريبة. سيبالغ؟ هل لديها ذاكرة جيدة؟ ألن تيقوم بتحريف الزمن؟ هل هناك شكوى؟ كل سؤال لديه جزؤه الصغير من الاتهام. تلك هي الهوة الجديدة بين ضحية التعذيب ومن يستمع. بيهن وبيني. بينهن وبينك أنت.

كل ألم هو جديد ويجب الوقوف أمامه كما لو كانت المرة الأولى. يقول البشير، بأنك تتعامل مع أشخاص لا وعي لديهم، ولا ضمير، ولا يشعرون بالندم. ومع ذلك فهم مثلنا. لكنهم تخصصوا في التعذيب، وذلك شيء يتم تعلمه. الخنق بقطع قماش مع منظفات، الكهرباء، التعليق، الضرب، الفلقة في باطن القدمين، كل ذلك يتكرر، مرة وأخرى. مزج هذه الأساليب يمارس حتى اليوم: لا توجد اختلافات كبيرة في الأساليب، رغم اختلاف الزمن، ورغم المعرفة والشكاوى. لكن ما يصدم البشير هي الإهانات. الموجهة إليه، وإلى كثيرين ممن قابلهم. الإهانة بأشياء لا يمكن تكرارها، لم يسبق لك سماعها ـ يقولون. الإهانة لا تصدم الجسد فقط وإنما تصدم الكرامة أيضا. الإهانة صنعت لتشطرك إلى جزئين. تنجو أنت ويموت ضميرك. أو ينجو الضمير ومن يموت هو أنت. أي واحدة من الحالتين ليست خيارا.



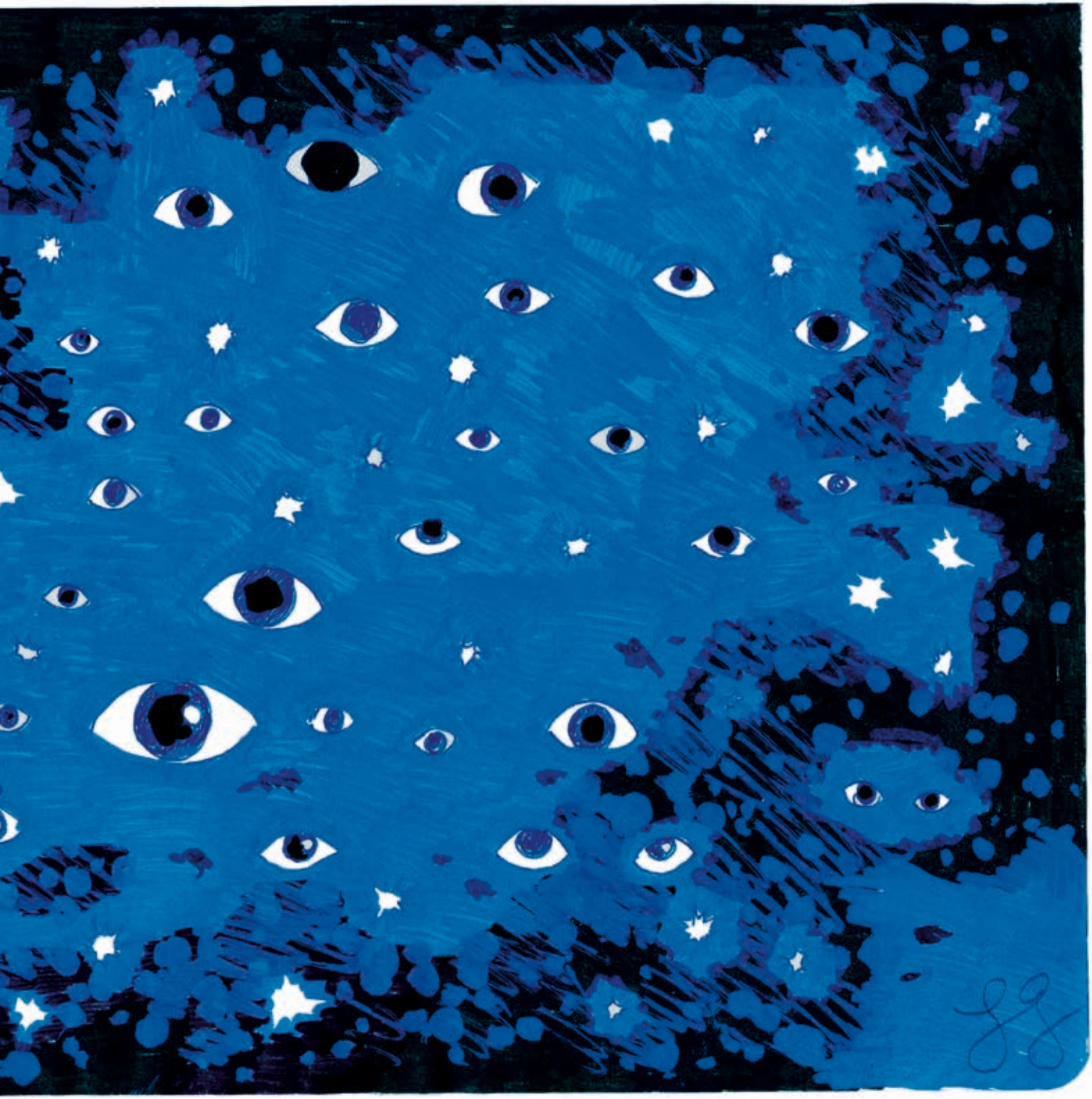
حـلم

منذ الغزو المغربي، يستيقظ البشير متسائلا كيف سيكون شعبه بعد الاستقلال. في تلك الحدود بين أحلام الليل وأحلام النهار، عندما تكون الهموم والمشاعر الآتية من بعيد تعلن عن نفسها مع كل مطلع شمس. ربما كماً من الأحلام المتراكمة، تم الحلم بها في نفس الوقت وتستطيع صنع القوة. مثل قناعة جماعية قد تهتز فجأة بارتداد يسقط جدارا.

ـ منذ الغزو المغربي لم أنم أبدا دون التفكير في كيف سيكون الشعب الصحراوي بعد الاستقلال.

استيقظ البشير مع حلم وسؤال. سيكون شعبا ديمقراطيا؟ سيكون غنيا؟ سيعيش جميع الصحراويين بشكل معقول ومناسب؟ سيحترم جيرانه؟

ـ إذا حصل الاستقلال وكانت هناك حكومة صحراوية سيئة، تأكد بأنني سأكون أول من سيتصدى لتلك الحكومة وسأبقى دائما في السجن.

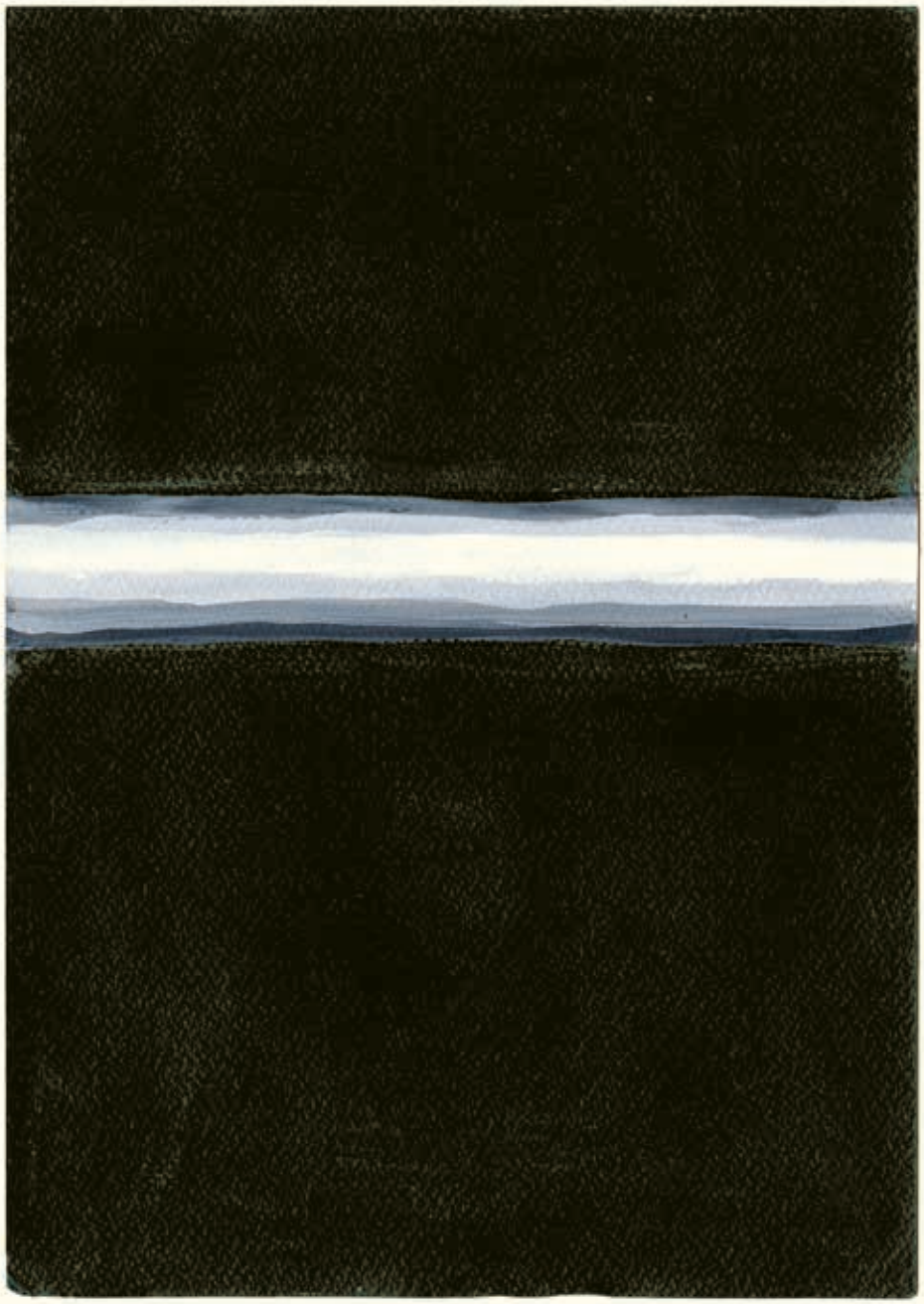




أسئلة عن الظلم في غير محلها

العقل لا يمكنه التوقف عن التفكير، العقل مثل آلة تنتج دائما سؤالا وعليك أن تجد الطريقة للإجابة لإقناع نفسك، لكن لماذا تقنع نفسك. وليس لإقناع أناس آخرين، لماذا لم أولد في قارة أخرى، لماذا أنا صحراوي، لماذا حصل ذلك المشكل، لماذا لم يذهب أبي إلى جبهة البوليساريو مع بقية المقاتلين، لماذا لم أكن في مخيمات اللاجئين، إذا كنت سأخرج، ماهي الطريقة، أين اولئك الذين اختطفوا قديما، هل من الأفضل أن أكون مناضلا، أو مقاتلا، هل يفكر الناس فيما أفكر فيه، هل أمي وأبي سيتحملان، هل يعيشان حياة طبيعية فهما مصابان بمرض السكري، هل سيستمر إخوتي في مدارسهم. هل ذلك المشكل سيجد حلا. ما هو مستقبلي. هل هناك ضرورة للمرور بكل هذا. أسئلة كثيرة، بدون مساحات، ربما هو سؤال واحد.

عندما خرجت، الاحتلال تحول إلى سجن أكبر. لماذا ولدتُ هنا. لماذا عليك أن تكافح وتكافح وتواصل الكفاح، بدون مساحة، الاستمرار كحمار هنا ... مفكرا هل سينتهي هذا يوما ... مع كل هذه الأضرار ... دون إمكانية عيش حياة طبيعية ... لا يمكنك التفكير في نفسك أبدا، لا يمكنك فعل شيء... الهدف من كل هذا كان هو تحطيم شخصية الناس، تدمير كرامتهم، قدرتهم على التعبير، سلب مبادرتهم. إذا انتزعوا منك المستقبل فستخسر كل شيء.



لحمادي تعرض للتعذيب. عندما خرج من الاعتقال والتعذيب، أخذوه ليمثل أمام وكيل الملك وأمام القاضي. ذلك الطريق الذي مر منه الكثير من الصحراويين والصحراويات. في غضون ذلك فقد الخوف. لا يوجد تقرير طب شرعي. لم يراجع أي طبيب كيف عومل المعتقل؟ القاضي لا يطلب تقريرا تقييميا. ويرفض الاستماع. محاولات لحمادي لرواية ما فعلوا به تصطدم مع نفس الآذان الصماء منذ عقود. عندما فقد كل أمل في أن يصدقه، أو أن يستمع إليه، فقرر النظر إليه. ثم تعرى. هناك كانت جراحه وندوبه ماثلة. ذراعه الذي أزالوا عنه وشما كان فيه، يردد صرخة مشتركة: الصحراء الحرة. لم يبق معصوب العينين خلال التعذيب، القاضي هو المعصوب العينين الآن.



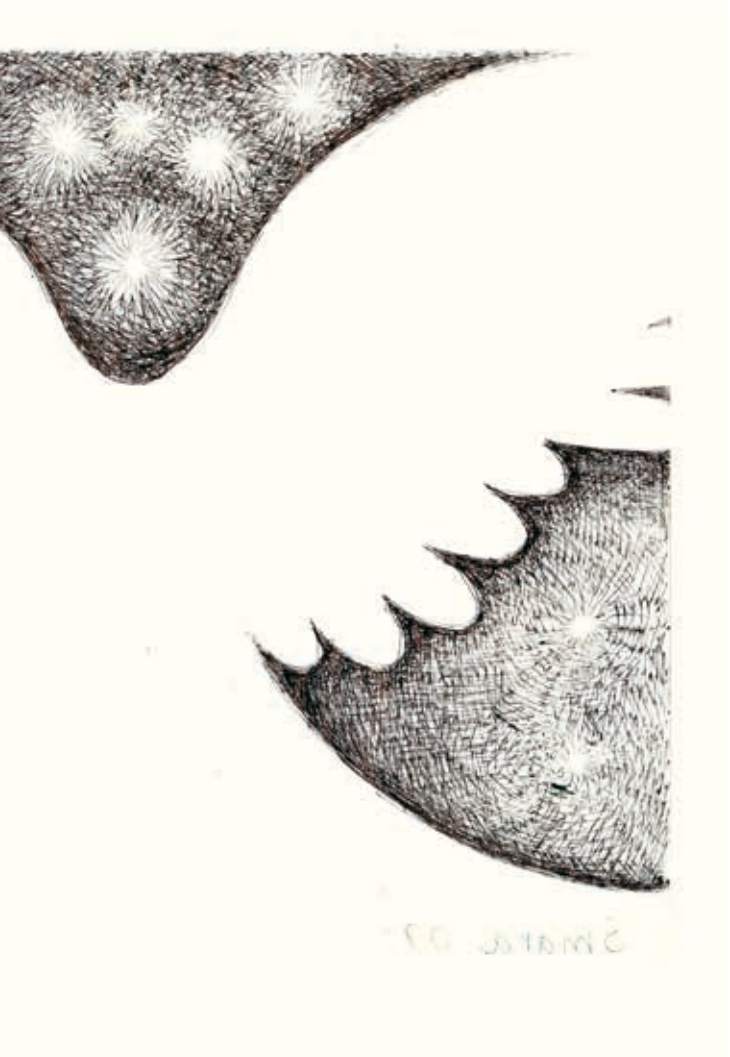
الرفات ليست هي هوية المختفي، هي أشياء تبقى منا عندما نصبح من عالم اولئك الذين أصبحوا غير موجودين. لكن رفاتهم موجودة هنا. تنطق عندما تخرج من الأرض لأنها تكشف بعض الأسرار التي حاول آخرون إخفاءها للأبد. أقارب المختفين الصحراويين، ككثيرين آخرين في بلدان أخرى، يريدون معرفة الحقيقة. ما الذي جرى. من كان المسؤول عن ذلك. لماذا. ما هو مصيرهم. إذا كانوا دفنوا، أين. وأين هي رفاتهم. فليسلموها لنا. ندفنها. نزورها. نظرة نحو المستقبل. خلال خمس وعشرين سنة، سمعوا أن أقاربهم التحقوا بالبوليساريو، ربما هم في المغرب أو في تندوف. بعد 34 عاما، الدولة المغربية تقول لهم بأن 207 ماتوا. أخبرت عن مكان الأغلبية، رغم أننا نعرف بأنها كذبت في بعض الحالات. لم تقل ما الذي جرى. ولا من كان المسئول عن ذلك. ولا لماذا، ولم يخبروا عن مصيرهم. إذا كانوا دفنوا، أين. ولم يقولوا أين توجد الرفات. لا دفن. ولا زيارات.

لكن لديهم حلم. هناك لجنة مستقلة في الصحراء الغربية تحقق في الحالات، تزور الأماكن. تنبش القبور. تحدد هوية الرفات. تعيدهم إلى ذويهم. تشرح لهم ما جرى. يمكن للعائلات ان تقوم بشعائرها، وأعمالها، بما في ذلك ذكرياتهم عمن رحلوا ومعاقبة المسئولين. تقبل الخسارة بشكل نهائي، ومعانقتهم لأنهم متواجدين معهم.



في 2005، اعتقلت أميناتو حيدار من جديد وعذبت. كان ابنها يبلغ 9 سنوات من العمر وكان في البيت ينتظر الاحتفال بانتهاء السنة الدراسية وقد قضى ذلك الانتظار وهو يبكي أمه. المقاومة السلمية مستمرة في طريقها، لكنهم في كل مرة يتساءلون إلى متى؟ مادام عالم الأقوياء لا يصغي، لكنه يحاكم ويقتل.الشبان لا يعرفون الحرب لكنهم يعرفون الملل. النظام يراهن دائما على أنك ستتعب وأنك ستركن إلى الوهن.

ـ هذا الجيل الجديد، جيل الأبناء، بات لا يؤمن بالمقاومة السلمية. ويمارسون الضغوط علينا ويقولون إن المقاومة بدون عنف لن تقود إلى أي شيء. إننا نخصص الكثير من الوقت لإبقاء المقاومة سلمية، ولكن إلى متى؟ هذا يشكل لي انشغالا بصفتي ناشطة حقوقية. نحن نطالب بتوسيع صلاحيات البعثة الأممية (مينورصو) لحماية ومراقبة حقوق الإنسان لأولادنا الذين هم مستقبلنا، وللوقاية من مقاومة عنيفة.



قصص الصبر

ثلاثة أجيال معا. جيل من كانوا كبارا في السن وعانوا القصف والمنفى في 1975/1976. جيل من كانوا صغارا ولا يتذكرون، لكنهم ولدوا في بلاد أخرى وترعرعوا ونموا، بينما في الجهة الأخرى، كانت البنات والأطفال يكبرون في أرض الخوف. عندما تحركوا بلافتاتهم ومناشيرهم، كانوا من جديد عرضة للاعتقال، في 1987، في 1992. الجيل الموالي خرج إلى الشارع في 1999، وعلى الخصوص في 2005. وإضافة إلى الشارع خرجوا إلى الانترنيت. بالكاد بلغوا خمسة عشر سنة كسروا حاجز الخوف، في حين خرج إخوانهم في اللجوء للدراسة في أراضي البلدان التي هيأت لهم الفرص التي لم تكن لديهم. القمع يهدف دائما إلى نفس الشيء، القضاء على كل أمل. مرة تلو أخرى، كالموج المتتالي بنفس المطالب. هناك بعثة أممية منذ عشرين سنة في الصحراء. مر الشتاء وعاد المرة تلو المرة. جولات المفاوضات. شعب يعيش عشرين سنة من التمديد والانتظار. يولد أطفال آخرون وبنات، وينمون. يذهبون في العطل إلى أوروبا. أناس يهاجرون. بلد آخر ومهجر آخر. كل العراقيل، كلها حتى لا يقرر الصحراويون مصيرهم. شعب الصبر والأناة.

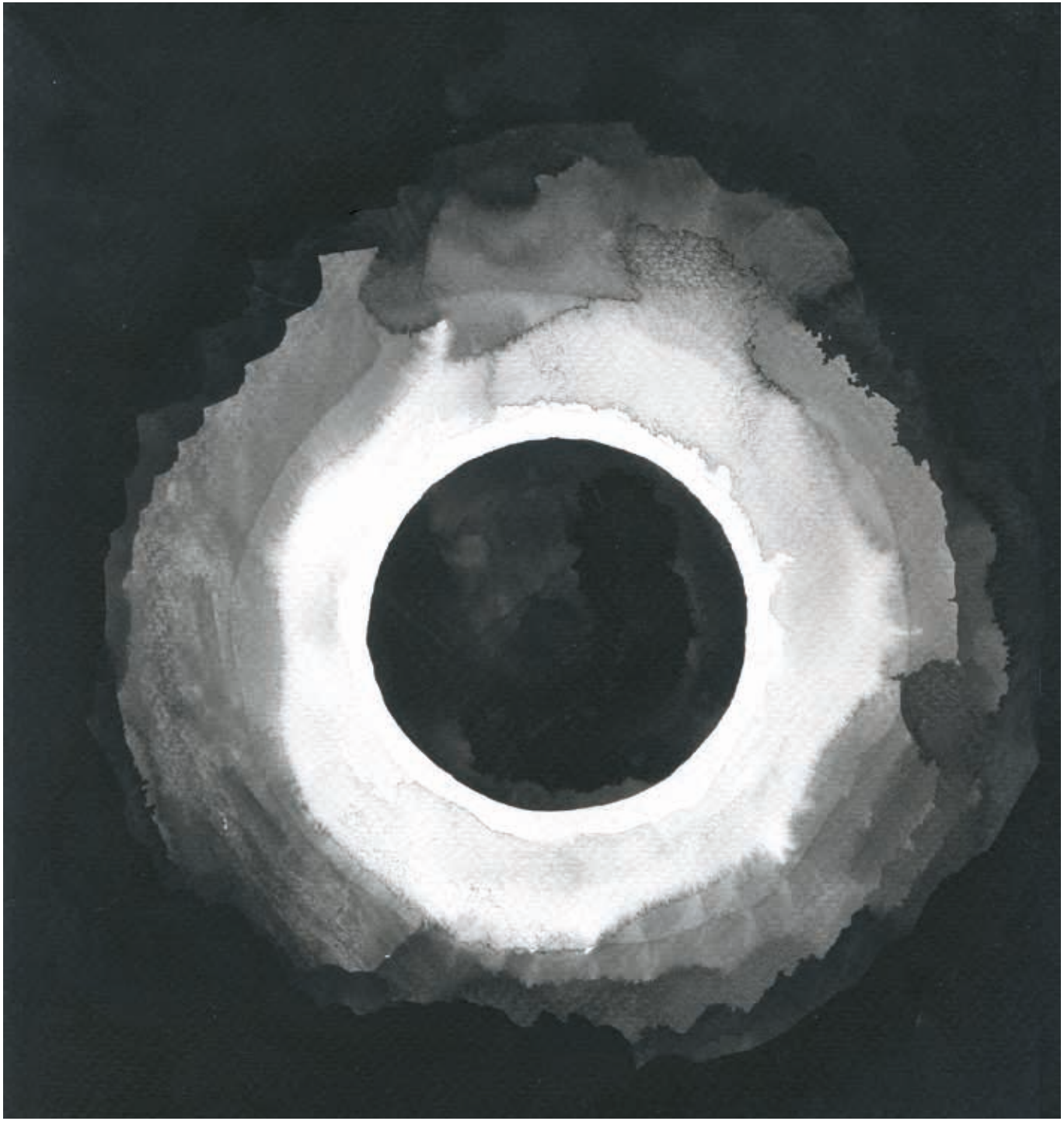

فيكو

تندوف. إبريل 2013

تمتلئ القاعة في الزمن غير المستعجل. بينما يتم التقديم، كحضور مشترك، تعود واحة الذاكرة إلى منبتها. ولدت من آلام السنين المخزّنة، كتيار لطيف، كرطوبة خارقة في الصحاري، يأتي التقرير مع حواراته القصصية، وأجزائه من الذكريات المحطمة التي تخلق الآن لغزا جماعيا. وخلافا للألغاز، في هذه الحالة كل جُزيء له صورة وله معنى. تمكن مشاهدته فقط، بعمق كل ذرة وما تشكله من كل متكامل. رغم تفضيل الحوار بين الناس، وبذلك نصبح واحدا، أو واحدة، وعناق.

الناس يستمعون اليوم ونحن نتحدث في الرابوني، أين وصل أمر ضحايا القصف قبل 37 سنة و37 يوما، والذين تحولوا منذ ذلك الوقت إلى لاجئين. ذلك السلب وتلك الحالة من الحقوق التي تحولت إلى النسيان. كما لو كان حادثا في التاريخ، على هامش الجغرافيا السياسية المهيمنة على حياة الناس.

في هذا الصباح الذي توقفت فيه رياح الليل لتفسح المجال للكلمة. للاحتفال بالزمن الذي ولد مع الواحة، رغم انها كانت دائما هناك. قبل وبعد، يقول الناس. ربما يكون الزمن هو ذلك الأمل الذي يعيد لنا الواقع في وجوهنا، هكذا بارد، هذا الصباح.



في عام توزيع القمح، ولدت فاطمتو. حينها لم تكن السنوات تعرف بأرقامها وإنما بأحداثها. عام 76 كان عام الرعب الذي اعتقل فيه سيدي السالك واختفى. والده العجوز كان يبلغ 90 عاما وعيناه مصبوغتان بالأزرق في هذه الخيمة التي هي نقطة مضيافة في هذه الصحاري. فكره نيّر ووعيه الجماعي بما يواجهه الصحراويون. كذلك متقبل لخساراته:

ـ حرموني من ابني كان يمكن أن تكون له الآن عائلته الخاصة.

أنصتُ وأحاول متابعة تلك الخسارة، كدرب قد يؤدي إلى رؤية الأشياء غير المرئية بعد المرور بما هو واضح.

للقضاء على الحياة، قتلوا أيضا جماله الخمسة، و100 رأس من الماعز، و 200 نعجة.

اشتكى شقيقه لهيئة الإنصاف والمصالحة في العيون نيابة عن سيدي. هيئة الإنصاف والمصالحة أرسلت رسالة إلى هذا الملجأ تقول بأنهم إذا كانوا يريدون تعويضا عليهم الذهاب إلى المنطقة المحتلة من قبل المغرب. لجنة الإنصاف والمصالحة كان من صلاحياتها التحقيق في اللجوء، لكن لم يتم الاعتراف بأي لاجئ صحراوي، لأن اللجوء في تندوف، لا وجود له في التمثيل الدبلوماسي المغربي عبر العالم. اللجوء يوجد فقط للقيام بالدعاية ضد لاجئي البوليساريو. بذلك أقرت هيئة الإنصاف والمصالحة موتها، لكن لم تعترف بمسؤولية الدولة. لا أدري ماذا سيكون اسم هذا العام 2013 الذي عثرنا فيه على رفات ابنها. فهو ولد عام الكسوف.



نظر الشاهد أبّ عالي بعينين محمرّتين لكثرة ما فركهما في حياته. منذ ذلك 12 من فبراير 1976. كان عمره 13 سنة: كانت هناك عملية كبيرة في منطقة آمغالا. أكثر من مائة شاحنة، رشاشات، رغم أنه لا توجد دبابات. اعتقل الكثير من البدو الرحل. العسكري الذي اعتقلهم، نادى أولا على مولود. سأله عن البوليساريو. مولود، كان راعي إبل، أجابه بأنه لا يعرف شيئا. بعد النفي، أطلق العسكري النار على صدر مولود. وبعدها نادى على عبد الله. طلبه بطاقة تعريفه. بعد ذلك أعادها له، ووجه إليه نفس السؤال. بعد النفي، لم يكن هناك كلام، أطلق النار على رأسه. فر الشاهد هاربا. قال له من أمسك به: قل عاش الملك. بذلك أنقذ الطفل حياته. قضى الليل متدثرا ببطانية في شاحنة. مربوط كما كان، ثقب بأسنانه ثقبا يمكنه أن يرى منه. في الليل سمع 17 طلقا ناريا، عدّدها.

اليوم نصل إلى نفس المكان، 37 سنة بعد ذلك. منذ تلك اللحظة لم يعد، لكنه تعرّف على المكان. هنا جالس، عدنا إلى تلك الأيام. له ذاكرة جمل. الجمل يعرف دائما كيف يعود لأماكن الماء ويتذكر الأشخاص الذين يسيئون معاملته. خلف ظهورنا، على مسافة 25 متر، توجد مقبرة جماعية.

مكان استخراج الجثث مكان لالتقاء عالمين يبدوان حصريين. مثل الاستمرار في نفس الاتجاه. عالم الأحياء، حين نتعلم الاستماع إلى الألم، والخوف وإلى المنطق. عالم الأموات الذي يكلمك فقط حين تعرف الاستماع إليه. تلك العظمة المبيضة بفعل الشمس. ذلك الكسر قبل الموت (fractura perimortem). ذلك الجرح الغائر. دقة الأدلة وارتعاد الخفقان اللذين يجتمعان في شاطئ ذينك العالمين الذي هو مقبرة جماعية. تلامس بالفرشاة تلك الرفات لتخلصها من معطفها الرملي. في كل خطوة تبحث عن التوضيحات وتجيبك التفاصيل في صمت.



صور بين الكلمات

المتخصصين في الحواجب، والأذنين، واللون والعلامات المميزة للعيون، عادة ما يكونون وكلاء مخابرات أو متابعي أهداف. الشرطة كذلك لها برامج لصور الروبوت، تحاول تغيير علامات الأنف أو الشعر، مثلما يغيرون القميص أو البطلون.

أما بالنسبة لنا، فالتفاصيل هي تمارين حضور وذاكرة. لذلك هي مجال للحديث. المذكرات تبنى في الأحاديث. نحن معا، نتكلم عنه هو، عنها هي. ما هو مستحسن لديه. العمر، الوجبة المفضلة. حول العائلة، في هذه الخيمة، أحاديث الحياة: يوجد الكثير من السكيتشات التي تخرج في ذهاب وإياب الكلمات والخطوط.

الكثير من المختفين الصحراويين لا توجد لهم صور. حمادي وأمه دفنا الصور في فناء الدار. آخرون قاموا بحرقها بعد الغزو، تحسبا وخيفة. أو فقط لم تكن هناك وسائل تصوير، ولا حتى في الفرار. الرسومات تحل محل ذلك الحضور. أحيانا، تصيب الرسوم في ذلك الاتجاه: لا يشبهه هو، لكنه يشبه أخاه تماما. رسوم أخرى تمتلئ بالدموع عندما تراه. يصل أحدهم بآلة تصوير، ليصور الرسم الذي استدعى الذكريات. وآخر لغز، أنف هذا، لكن عيني ذلك. رغم أن لديهم جميعا معجزتهم:

ـ إذا كان لا يشبه أبانا، قد يشبه آخر.

بذلك، يعود المختفون، يعودون بيننا ويخلعون صفة المجهولين.



تجريب الحرية

الصحراويون يهيئون المستقبل. الثقافة والسياسة تسيران معا في هذا المكان المظلم من العالم، حيث للمقاومة مسرح وكلمة. نحن الآن في منتصف 1991. خمسة عشر سنة بعد الاختفاء، يظنون أن من بقوا على قيد الحياة سيخرجون أحياء وسيرسمون خطوات ذلك الذي أرادوا دائما. في النهاية، لذلك هم وجدوا هنا. كيف ستكون صناديق الاقتراع. صف المنتظرين. تلك الزاوية هي الداخلة. وتلك العيون. بوجدور. يحضرون أوراق التصويت. السجناء يصنعون بالمسرح، نشاط السلام. الكلمة بدلا من السلاح أو الخوف، ستقرر مستقبلهم.

بذلك الأمل يخرجون، قبل أن يجدوا أن وطنهم تحول إلى سجن كبير. بنفس الطموح أنشئت المينورصو. لكن الأمم المتحدة عجزت أن تضع حيز التنفيذ ما سبق للمعتقلين المختفين أن خططوا. في المركز السري لقلعة امكونة، أين كان كل شيء محرما، أجريّ استفتاء تقرير المصير الوحيد المنجز حتى الآن. لم يحتاجوا لقرارات الأمم المتحدة، غير المنفذة دائما. فقط الإرادة. التعبير عن حرية ما تزال في الانتظار إلى اليوم، تدفع الحياة وتدافع عنها.

لمسيّد، معسكر للجيش المغربي قريب من مدينة الطنطان. على مقربة منه توجد مقبرتان جماعيتان، أين تم استنطاق وقتل تحت التعذيب ودفن العديد من الأشخاص بتهمة الانتماء للبوليساريو في العام 1975. يعترف تقرير هيئة الإنصاف والمصالحة بالبعض من هذه الوفيات لكن المغرب لا يعترف بالأحداث، ولا بوجود هذه المقابر.

اربيّبْ: منطقة قريبة من مدينة السمارة، في معسكر الدرك المتواجد بالمنطقة تم اعتقال هته النساء والعديد من الرجال في 1976. مازال الكثير منهم مفقود.

ملحفة: لباس تقليدي نسائي صحراوي، مكون من قطعة قماش واسعة وفضفلضة، وتلتف به النساء من الرأس إلى أخمص القدمين.

الدجاجة. الديك. الطائرة. تقنيات للتعذيب. تتمثل في تعليق الشخص المعتقل بشده بحبال إلى أعمدة مرتفعة حتى تجتاحه آلام لا تطاق في الذراعين والعمود الفقري والساقين. تترك آثار خطيرة في المفاصل.

الفلقة: تقنية تعذيب مستخدمة من قبل العديد من الديكتاتوريات، وقد استخدمت خاصة من قبل النظام التركي في 80، وتتمثل في الضرب بهراوة.على أسفل القدمين. مما يسبب آلاما كبيرة، وآفات التهابية مؤلمة وخطر الإصابة بالغرغرينا.

أشبال الحسن الثاني، أو أسود الحسن الثاني الصغار. يعني الشبان الصحراويين الذين تتراوح أعمارهم بين 17 و29 سنة الذين هُجّروا في 1988 من الصحراء الغربية ووزعوا على مدن مغربية مختلفة للعمل كموظفين للدولة المغربية. هناك تقديرات بوجود 8000 شاب صحراوي خارج الصحراء الغربية لهذا السبب لعدة أشهر أو سنوات، كجزء من استراتيجية تثاقف إجبارية تحاول تغيير الأوضاع الديمغرافية وتسهيل اندماج قسري.

الحاج: رجل مسلم أدى فريضة الحج إلى مكة، يعتبر شخصا ذا كرامة ويحظى بالاحترام. الكثير من جلادي المراكز السرية للاعتقال يجبرون ضحاياهم على مناداتهم بالحاج كجزء من تعذيبهم.

قلعة امكونة: مركز اعتقال سري في قاعدة قديمة للجيش الفرنسي في إقليم ورززات،وهي منطقة سياحية معروفة بزرتعة الورود. في المركز المذكور تم تجميع أكثرية السجينات والسجناء الصحراويين بصفتهم مفقودين بين 1976 و 1991.

مينورصو: بعثى الأمم المتحدة من أجل إجراء الاستفتاء في الصحراء الغربية. بعد 22 سنة من تشكيلها مازال الاستفتاء الموعود لم يجر بعد بسبب معارضة النظام المغربي. وظلت مهمتها تمدد بشكل مؤقت منذ ذلك الحين.

باولو افرايري، عالم بيداغوجيا برازيلي ذائع الصيت انتقد التعليم باعتباره امتلاك المعرفة ونقلها بشكل أحادي الاتجاه، مشيرا إلى أن النموذج السائد في التعليم هو مثل التعليم المصرفي. وبناء على أفكار بداغوجية نقدية قدم مساهمات كبيرة لإنشاء تعليم تحريري، اعتمادا على الخبرة والوعي الانتقادي للواقع ودعمه للتحول الجماعي.

المجمع السكني رقم 6: المركز السري لقلعة امكَونة كانت موزعا إلى وحدات مختلفة أين أبقي السجناء معزولين عن بعضهم. مثلا مجمع سكن المعتقلين في 1976، مجمع سكن معتقلي 1980 وهكذا دواليك. المعتقلين في مختلف المجمعات السكنية لم يكن بإمكانهم الاتصال فيما بينهم.

مسبحة إسلامية: مسبحة من 99، 100 أو 101 حبة، حسبما كان لرجل أو لامرأة، أداو عبادة إسلامية، بتمرير حبات المسبحة بين الأصابع بينما يتم الابتهال إلى الله.

مقترح الحكم الذاتي: مقترح قدمه المغرب في 1999 لمنع استمرار

واحة الذاكرة، دراسة تنبني على 261 حالة انتهاك لحقوق الإنسان لضحايا صحراويين للإختفاء القسري، للقصف الجوي، للاعتقالات التعسفية، للتعذيب، للعنف الجنسي. يتضمن مفكرة حول تحول النزاع بالاعتماد على مطالب تقصي الحقائق والعدالة وجبر الضرر كقاعدة لإيجاد حل سياسي. أنظر:
http://publicaciones.hegoa.ehu.es/publications/281

آفابراديسا (AFAPREDESA) جمعية أولياء المعتقلين والمفقودين الصحراويين. جمعيات أخرى في الصحراء الغربية ساعدت في الحصول على الشهادات هي: (ASVDH) الجمعية الصحراوية لضحايا الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. (CODESA) تجمع المدافعين الصحراويين عن حقوق الإنسان. و(CODAPSO) لجنة الدفاع عن حق شعب الصحراء الغربية في تقرير المصير. والتي إلى حد الساعة لا تتمتع بصفة الشرعية في وطنها.

أم ادريكة: المكان الذي أقيمت فيه مخيمات السكان المدنيين الصحراويين، الذين فروا إلى البوادي للاحتماء بها في نهاية العام 1975. في 20 فبراير من 1976 قصفته الطائرات الحربية المغربية حيث خلف ذلك القصف 45 قتيلا على الأقل و86 جريحا، معظمهم نساء وأطفال. هناك دفنت أشلاء العديد من الأشخاص في مقابر جماعية. المكان يوجد في على الجهة الأخرى من الجدار الذي بناه المغرب، وهو ممنوعا على عائلات وأقارب الضحايا الذين نزحوا إلى مخيمات تندوف.

الولي: الزعيم الرمز الأول للدولة الحديثة الإعلان ـ الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية المعلنة في فبراير 1976 ـ استشهيد في معركة..ضد الجيش الموريتاني في 9 يونيو 1976.

المحكمة الوطنية والشكاوى بسبب المجازر: المحكمة الإسبانية التي قدمت أمامها شكوى الإبادة الجماعية ضد مسؤولين عسكريين وشرطة مغاربة. بعض الضحايا وأسرعدد من المفقودين أو المحتجزين في مراكز سرية قدموا شهاداتهم كجزء من هذه الشكوى.

حريز الحربي وإبراهيم بنسامي: من مشاهير الأجهزة الأمنية السرية المغربية، مشاركين في تعذيب العديد من المعتقلين منذ عقود سنوات السبعين واالثمانين. في عام 2011 عين الحربي واليا للداخلة وعين بنسليمان مديرا للمؤسسات السجنية في المغرب.

(PCCMI) مركز ب.س.س.م.ي: شرطة متجولة للتدخل السريع. تولت حراسة المراكز السرية للاعتقال السرية خاصة في العيون، في معسكر قديم للجيش الإسباني.

BIR مركز (بير) فيلق التدخل السريع. معسكر يوجد في الشاطئ بالعيون أين نقل المعتقلون في قضية 1987، و أين مات محمد عياش بعد أسبوع من التعذيب.

آكدز: مركز سري للاعتقال في التراب المغربي، هو الذي مات فيه أكبر عدد من المعتقلين والمعتقلات الصحراويين بسبب الجوع وسوء المعاملة.

البوليساريو: الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب.

القوات المساعدة: قوات ذات طبيعة شبه عسكرية مكلفة بمرافقة الجيش في العمليات العسكرية. لاحقا، تولت هذه القوات حراسة العديد من المراكز السرية للاعتقال. في السنوات الأخيرة تم استخدام هذه القوات كقوات مكافحة الشغب في المظاهرات.

الحديث عن استفتاء لتقرير المصير الذي ـ طبقا لقرارات الأمم المتحدة منذ 1973 ـ يطالب باستفتاء السكان الصحراويين حول الوضع النهائي لإقليمهم. التحركات الجماهيرية المتواصلة أدت إلى ما يعرف بانتفاضة 2005، التي عرّفت بما يجري في الصحراء الغربية على المستوى العالمي.

هيئة الإنصاف والمصالحة (IER)، لجنة بحث وتحقيق أنشأها المغرب بين العامين 2004 و2006 حيث تمثلت مهمتها في التحقيق حول انتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة من قبل النظام. ولم تشمل صلاحياتها إجراء تحليل محدد حول الانتهاكات المرتكبة ضد السكان الصحراويين، وتذكر الصحراء على أنها »الأقاليم الجنوبية« خلال مأموريتها تم منع منظمات حقوق الإنسان الصحراوية. وقام المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان: كمواصلة لعمل هيئة الانصاف والمصالحة، بنشر لائحة على الانترنيت في 2010 تتضمن أسماء 207 أشخاص يقول بأنهم موتى. كانت تلك الإجابات جزئية ومجزأة، ولم تعط تفاصيل حول الأحداث مكتفية بالقول بأنهم ماتوا »بسبب الظروف«. في كثير من الحلات تبين ان المعلومات المقدمة في تلك اللائحة كانت زائفة. ما يقارب 400 مازالوا مفقودين.

(RASD) الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية

ACNUR المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. باشرت في 2006 بتنفيذ برنامجا للزيارات في مخيمات اللاجئين في تندوف وفي الصحراء الغربية الواقعة تحت السيطرة المغربية، ويتمثل البرنامج في زيارة لمدة خمسة أيام. الكثير من العائلات التي بقيت مقسمة لم تلتق منذ أكثر من 30 سنة.

اكديم إزيك: مخييم أنشئ في 20 أكتوبر 2010 في ضواحي العيون كشكل من اشكال الاحتجاج السلمي لتجنب القمع والتقاطع مع الحياة اليومية. كان فضاء للتنظيم الذاتي لمختلف القطاعات الاجتماعية التي تطالب بحقوق كالسكن أو العمل، وقد استضاف ـ المخيم ـ حوالي 20.000 شخص. في 8 من نوفمبر بعد التوصل إلى اتفاق للخروج من المخيم، تم تفكيكه من قبل قوات عسكرية وشرطية مغربية. ثلاثة صحراويين و11 شرطيا قتلوا في تلك العملية. اعتقل مئات الصحراويين وعذبوا في الأسابيع اللاحقة. 24 منهم مثلوا أمام محكمة عسكرية وحكم عليهم بعقوبات تراوحت بين السجن 10 سنوات والمؤبد.

جريدة اتهامات: تعبير صحراوي يعبر عن لائحة اتهامات لا متناهية. كمية من الاهامات. في كثير من الحلات، واجه المعتقلون الصحراويون 8 أو 10 تهم مختلفة.

وكيل الملك: شخصية تشبه النائب العام، تقدم ترفع إليه الشكاوى ضد انتهاكات حقوق الإنسان. وجرت العادة حتى الساعة أن تلك الشكاوى لا يتم التحقيق فيها ولم تتم أي عمليات ضد مسؤولين.

DNI بطاقة التعريف الوطنية الإسبانية.

امهيريز ـ آمكالا: منطقة في الصحراء الغربية توجد في الجانب الصحراوي من الجدار الذي بناه المغرب، في المناطق التي تسمى مناطق محررة. المكان الذي عثر فيه على المختفين الصحراويين الأوائل بعد 37 سنة. يتعلق الأمر بثمانية أشخاص من بينهم طفلين اثنين، اختفوا في 1976. عثر عليهم في مقبرتين جماعيتين مع مؤشرات توحي بحدوث موت عنيف. الشاهد العيان: أبّا عالي ذكر كيف أعدم اثنان منهم.


Federico Guzmán


Federico Guzmán


Federico Guzmán


Federico Guzmán


Federico Guzmán


Federico Guzmán


Federico Guzmán

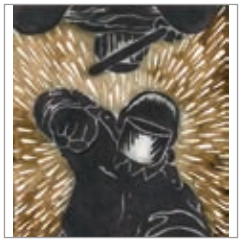

Alonso Gil


Alonso Gil


Alonso Gil


Federico Guzmán


Alonso Gil


Federico Guzmán


Alonso Gil


Alonso Gil


Federico Guzmán


Alonso Gil


Alonso Gil


Alonso Gil


Alonso Gil



Federico Guzmán



Alonso Gil



Federico Guzmán



Enric Gonyalons



Federico Guzmán



Alonso Gil



Federico Guzmán



Federico Guzmán



Federico Guzmán



Alonso Gil



Federico Guzmán



Alonso Gil



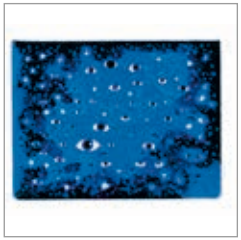
Alonso Gil



Alonso Gil



Alonso Gil



Federico Guzmán



Alonso Gil



Federico Guzmán



Federico Guzmán



Federico Guzmán



Alonso Gil



Alonso Gil



Alonso Gil



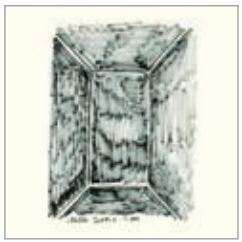
Federico Guzmán



Federico Guzmán



Federico Guzmán



Alonso Gil



Federico Guzmán



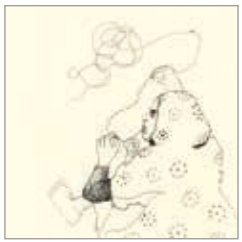
Alonso Gil



Federico Guzmán



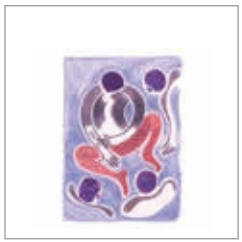
Alonso Gil



Alonso Gil



Federico Guzmán



Alonso Gil



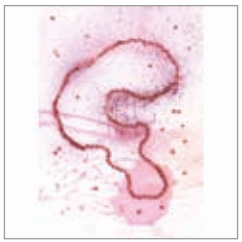
Alonso Gil



Alonso Gil



Federico Guzmán



Alonso Gil



Alonso Gil



Federico Guzmán



Federico Guzmán



Federico Guzmán



Alonso Gil



Federico Guzmán



Alonso Gil

قصص ورسومات هذا الكتاب خرجت من رحم عملية بحث حول انتهاكات حقوق الإنسان في الصحراء الغربية. تشكل جزءا من الشهادات الواردة في «واحة الذاكرة».

منذ النزوح إلى الصحاري، إلى قصف المدنيين في عام 1976. إلى نهب الإبل والخيام، وحتى حالات الاختفاء القسري والمراكز السرية للاعتقال. والتعذيب والاعتقالات التعسفية، وإلى حين مقاومة زمن النسيان. بجانب كل هذه الانتهاكات لحقوق الإنسان تختفي هناك قصص لها أسماء، وجوه ولها خفقان. في هذه الصفحات، تعطي النساء والرجال الصحراويين دروسا في الحكمة والشجاعة، قصص اللجوء والصبر، منسوجة برسومات تعانقها،.يلامسونها أو يصرخون بها. بعض الرسومات أنجزت حين أخذت الشهادات، أخريات ولدت من الحوار مع أصوات وأفكار الناس. ذلك الحوار هو دعوة للأشخاص الذين يتشاركونها الآن. دعوة لك أنت، دعوة لك.